الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٠ — ٩ مارس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 140.

Lundi 9 3 1936

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ — ٩ مارس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

المعنى السـياسي في العيد

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ما أشد حاجتنا نحن المسلمين إلى أن نفهم أعيادنا فهماً جديداً نتلقاها به ونأخذها من ناحيته فتجئ أياماً سعيدة عاملة تنبه فينا أوصافها القوية وتجدد نفوسنا بمعانيها، لا كما تجيء الآن كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى، أكبر عملها تجديدُ الثياب، وتجديد الفراغ، وزيادة ابتسامة على النفاق

فالعيد إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم لا اليومُ نفسُه، وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم؛ وكان العيد في الإسلام هو عيدَ الفكرة العابدة، فأصبح عيدَ الفكرة العابثة؛ وكانت عبادة الفكرة جمعها الأمة في إرادة واحدة على حقيقة عملية، فأصبح عبث الفكرة جمعها الأمة على تقليد بغير حقيقة، له مظهر المنفعة وليس له معناها

كان العيد إثبات الأمة وجودَها الروحاني في أجمل معانيه، فأصبح إثباتَ الأمة وجودَها الحيوانيَّ في أكثر معانيه؛ وكان

يوم استرواح القوة من جِدها ، فعاد يوم استراحة الضعف من ذله ؛ وكان يوم المبدأ ، فرجع يوم المادة !

* * *

ليس العيد إلاّ إشعارَ هذه الأمة بأن فيها قوةَ تغيير الأيام ، لا إشعارها بأن الأيام تتغير ؛ وليس العيد للأمة إلاّ يوماً تعرض فيه جمالَ نظامها الاجتماعي ، فيكون يومَ الشعور الواحد في نفوس الجميع ، والكلمة الواحدة في ألسنة الجميع ؛ يوم الشعور بالقدرة على تغيير الأيام ، لا القدرة على تغيير الثياب . . . . كأنما العيد هو استراحة الأسلحة يوماً في شعبها الحربي

وليس العيد إلاّ تعليم الأمة كيف تتسع روحُ الجوار وتمتدّ حتى يرجع البلدُ العظيمُ وكأنه لأهله دار واحدة يتحقق فيها الإخاء بمعناه العملي ، وتظهرُ فضيلةُ الإخلاص مستعلنةً للجميع ، ويُهدي الناس بعضُهم إلى بعض هدايا القلوب المخلصة المحبة ، وكأنما العيدُ هو إطلاقُ روح الأسرة الواحدة في الأمة كلها

وليس العيدُ إلاّ إظهار الذاتية الجميلة للشعب مهزوزةً من نشاط الحياة ؛ ولا ذاتية للأمم الضعيفة ؛ ولا نشاط للأمم المستعبدة . فالعيدُ صوتُ القوة يهتف بالأمة : أخرجي يومَ أفراحك ، أخرجي يوماً كأيام النصر !

وليس العيدُ إلاّ إبراز الكتلة الاجتماعية للأمة متميزةً بطابعها الشعبي ، مفصولةً من الأجانب ، لابسةً من عمل أيديها ، معلنة بعيدها استقلالين في وجودها وصناعتها ، ظاهرة بقوتين في إيمانها وطبيعتها ، مبتهجة بفرحين في دورها وأسواقها . فكأن العيد يوم يفرح فيه الشعب كله بخصائصه

وليس العيد إلاّ التقاء الكبار والصغار في معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة في طريقها ، وترك الصغار يلقون درسهم الطبيعي في حماسة الفرح والبهجة ، ويعلّمون كبارهم كيف توضع المعاني في بعض الألفاظ التي فرغت عندهم من معانيها ، ويُبَصِّرونهم كيف ينبغي أن تعمل الصفات الإنسانية في الجموع عمل الحليف لحليفه ، لا عمل المنابذ لمنابذه . فالعيدُ يومُ تسلط العنصر الحيّ على نفسية الشعب

وليس العيد إلاّ تعليم الأمة كيف توجّه بقوتها حركة الزمن إلى معنى واحد كلما شاءت ؛ فقد وضع لها الدين هذه القاعدة لتُخرِّجَ عليها الأمثلة ، فتجعلَ للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تبتسم فيه الدراهم بعضُها إلى بعض ، وتخترع للصناعة عيدَها ، وتوجد للعلم عيدَه ، وتبتدع للفن مجالىَ زينته ؛ وبالجملة تنشئ لنفسها أياماً تعمل عمل القوّاد العسكريين في قيادة الشعب ، يقوده كل يوم منها إلى معنى من معاني النصر

* * *

هذه المعاني السياسية القوية هي التي من أجلها فُرِض العيدُ ميراثاً دهرياً في الإسلام ليستخرج أهل كل زمن من معاني زمنهم فيضيفوا إلى المثال أمثلةً مما يُبدعه نشاط الأمة ، ويحققه خيالها وتقتضيه مصالحها

وما أحسب الجمعة قد فرضت على المسلمين عيداً أسبوعياً يُشترط فيه الخطيب والمنبر والمسجد الجامع ، إلاّ تهيئةً لذلك المعنى وإعداداً له . ففي كل سبعة أيام مسلمة يومٌ يجئ فيُشعر الناسَ معنى القائد الحربي للشعب كله

ألا ليت المنابر الإسلامية لا يخطب عليها إلاّ رجالٌ فيهم أرواحُ المدافع ، لا رجال في أيديهم سيوف من خشب . . . .

مصطفى صادق الرافعي

رسوم الفطر والأضحى

فى عهد الدولة الفاطمية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الدولة الفاطمية فى مصر دولة البهاء والبذخ والترف فى الحياة العامة وفى الحياة الخاصة ؛ وكانت مواكب الخلافة الفاطمية ورسومها الفخمة دائماً مثار الروعة والاجلال ، وكانت أعيادها ومواسمها الباهرة مثار البهجة والفرح العام ؛ وما زالت آثار من تلك الرسوم والمواسم الشهيرة تمثل فى كثير من أعيادنا ورسومنا وتقاليدنا الدينية ؛ فاذا رأيت بعض هـذه الأعياد والمواسم يجنح إلى نوع من الفخامة ، وإذا رأيت بعض هذه الرسوم يتشح بأثواب من الرونق والبهاء ، فانما ذلك يرجع فى الأغلب إلى أثر الدولة الفاطمية فى بث هذه الروح الباذخة البهجة إلى كثير من نواحى الحياة العامة والخاصة فى مصر الاسلامية

وربما كان من الشائق الممتع ، وقد تضى المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها عيد الأضحى المبارك ، أن نقف على طرف من الرسوم والتقاليد التى كانت تجرى عليها الخلافة الفاطمية فى الاحتفاء بهذا العيد الاسلامى الجامع ؛ وقد كان للخلافة الفاطمية أعيادها ومواسمها الدينية الخاصة ، إلى جانب العيدين الاسلاميين الرئيسيين ، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ؛ وكانت تحتفى بهما فى حفلات ومظاهر رسمية رائعة ؛ وكان موكب العيـد من أعظم مواكب الخلافة الفاطمية ؛ ففى ليلة عيدالفطر كان يمقد فى الليل بالايوان الكبير الذى يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم يبلغ طوله نحو ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة أذرع ، وتنثر عليه أنواع الفطائر والحلوى الشهية مما أعد فى دار الفطرة الخلافيـة ؛ فاذا انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجلسه ، وفتحت أبواب القصر والايوان على مصاريعها ، وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط الخلافى وتخاطفوا ما عليـه بحضور الخليفة ووزرائه ؛ وحينما تبزغ الشمس يركب الخليفة فى موكبه إلى الصلاة ويخرج من باب العيد إلى المصلى ؛ وقد انتهت إلينا عن هـذه المواكب الفاطمية من أقوال المؤرخين المعاصرين صور تبهرنا بروعتها وجمالها ؛ ونحن نحيل القارئ على تلك الفصول الشائقة البديعة التى ينقلها إلينا المقريزى عن هذه المواكب الخلافية الرائعة (١) ونكتفى بأن ننقل اليه هذه الصورة الوجيزة من أقوال المسبحى مؤرخ العصر الأول من الدولة الفاطمية ، قال :

« وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى ، والعسكر فى زيه من الأتراك والديلم والعزيزية والأخشيدية والكافورية ، وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب . وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر ، والسروج بالعنبر ، وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة ، وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف » (٢)

فاذا عاد الخليفة من الصلاة كان ثمة سماط آخر أبهى وأروع وهو السماط الثانى لعيد الفطر ؛ فيجلس الخليفة فى مجلسه وأمامه مائدة من فضة يقال لها المدورة وعليها أوانى الذهب والفضـة غاصة بأفخم الأطعمة وأشهاها ؛ وقبالة المائدة الخلافية سماط ضخم يتسع لنحو خمسمائة مدعو ، وقد نثرت عليه الأزهار والرياحين (٣) وصفت على حافتيه الأطباق الحافلة بصنوف الشواء والطيور والحلوى البديعة ، وجلس إليه رجال الدولة والعظماء والأكابر من كل ضرب وأكل من شاء دون الزام حتى لا يرغم على الافطار من لا يرى الافطار فى ذلك اليوم ؛ وعند الظهر ينفض المجلس وينصرف الناس

***

وأما عيد الأضحى أو عيد النحر كما كانت تؤثر تسميته فى ظل الدولة الفاطمية تنويها بأبرز مظاهره ألا وهى نحر الأضحية ، فقد كان يحتفى به بركوب الخليفة إلى الصلاة على النحو المتبع فى صلاة عيـد الفطر ثم يخص بسماط حافل يقام فى أول يوم منه . بيد أنه يمتاز بركوب الخليفة فيـه ثلاث مرات متوالية فى أيامه الثلاثة الأولى ، ويمتاز بالأخص باشتراك الخليفة نفسه فى اجراءات النحر ؛ وكان قيام الخليفة بهذا العمل من أروع المظاهر والمراسيم التى جرت عليها الخلافة الفاطمية فى الأعياد العامة . فلنتصور

(١) راجع خطط المقريزى (الطبعة الأهليـة) ج ٢ ص ٢١٤ إلى نهاية المجلد (٢) الخطط — ج ٢ ص ٣٢٣

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٢٠ ، ومن هذا نرى أن تزيين المائدة بالأزهار ليس عادة محدثة وليس بالأخص فكرة أفرنكية

أمير المؤمنين متشحاً بثوب أحمر قان يسير فى موكبه ماشياً إلى دار النحر الخلافية — وقد كانت تقوم فى ركن خارجى من القصر — وبين يديه الوزير وأكابر الدولة والأساتذة المحنكون [1] (وهم المشرفون على شؤون الخاص) ويكون قد اقتيد إلى النحر واحد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة يملوها الخليفة وحاشيته، وقد فرشت حافتها بأغطيـة وبطائن حمر يتقى بها الدم، وحمـل الجزارون كل بيده إناء مبسوطا يتاقى به دم الضحية؛ ثم تقدم رؤوس الأضاحى إلى الخليفة واحدة فواحدة، فيدنو منها وبيده حربة يمسك بها من الرأس، ويمسك القاضى بأسـل سنانها ويجعله فى عنق الدابة فيطعن بها الخليفة، وتجر من بين يديه حتى يأتى عليها جميعاً، وكلما نحر الخليفة رأساً جهر المؤذنون بالتكبير؛ وتقدد الضحية الأولى، وتفرق قطعاً صغيرة فى الأولياء والمتقدين؛ وفى اليوم التالى ينظم نفس الموكب إلى المنحر، وينحر الخليفة سبعة وعشرين رأساً؛ وفى اليوم الثالث ينحر ثلاثة وعشرين؛ ويجرى توزيع لحم الأضحية خلال هـذه الأيام الثلاثة على أرباب الرسوم فى أطباق خاصة للتبرك، ويقوم بالتوزيع قاضى القضاة وداعى الدعاة، ويخص نقباء الدعوة وطلبة دار الحـكمة (دار العلم) بقسـط من اللحوم الموزعة؛ فاذا انقضت مراسيم النحر خلع الخليفة عند العودة إلى القصر على الوزير ثيابه الحمر ومنديلا ملوكيا بغير سمة، والعقد المنظوم، فيركب الوزير وعليه الخلع المذكورة فى موكب حافل من القصر شاقا القاهرة حتى باب زويلة، ثم يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة، وبذلك تنتهى حفلات النحر

وكان الخليفة العزيز بالله أول من سن سـنة إعطاء الضحايا وتفريق لحومها فى أولياء الدولة على قدر مراتبهم، وكان ما يخرج منها غير ما يذبحه الخليفة بنفسه يبلغ بضعة آلاف من مختلف الأصناف هذا عدا ما يفرق فى أرباب الدولة من الخلع والأموال؛ وقد انتهت إلينا من روايات المؤرخين المعاصرين تفاصيل دقيقة عن مقادير النفقة فى تلك المواسم، ومنها أن نفقة سماطى الفطر والأضحى كانت تبلغ زهاء أربعة آلاف دينار؛ ويذبح من البقر والجاموس والنوق فى أيام النحر نحو ألفين وخمسمائة، ومن الغنم ألفين وأربعمائة؛ وقد أشرنا إلى ما كان يوزع فى عيد الفطر فى أرباب الدولة من صنوف الفطائر والحلوى، وكيف كان يسمح للكافة باقتحام إيوان القصر لنهب السماط الخلافى أمام عينى الخليفة ذاته؛ وعلى الجملة فقد كانت الخلافة الفاطمية تبـدى فى المواسم العامة من ضروب البذخ والبهاء والبهجة، ما يسبغ على هـذه المواسم أثوابا ساطعة من الرونق والجمال والسحر

وقد كان هـذا البذخ الذى تنثره الخلافة الفاطمية حولها ينفث فى الشعب ذاته حب الظهور والمرح، فـكانت القاهرة تلبس فى تلك المواسم حلة أنيقة باهرة وتحفل شوارعها ومحالها ودورها بأنواع الزينة القشيبة؛ وكانت فى الليل تبدو كأنها شعلة ساطعة من الأنوار؛ وكان القصف والمرح يخرجان أحيانا فى تلك المواسم عن حد الاعتدال حتى أن ولاة الأمر لجأوا غير مرة إلى إلغاء بعض الرسوم وتقييد بعض الحريات؛ وفى عهد الحاكم بأمر الله ألغى الاحتفال ببعض المواسم التى كان القصف يخرج فيها عن حدود الاعتدال مثل عيد الشهيد، وحرم شرب الخمور والركوب فى الخليج، وخروج النساء، واشتد الحاكم فى ذلك حتى كانت القاهرة تغدو أحياناً فى أثواب قاتمة من السكون والاقفار والروع. بيد أنه فيما خلا هذه الفترات القليلة، كانت الخلافة الفاطمية دائما عند تقاليدها الباهرة تنثر حولها حلل البذخ والبهاء والترف فى كل المواسم والمناسبات

* * *

هـذه لمحة سريعة فيما كانت ترتبـه الخلافة الفاطمية من الحفلات والرسـوم الباذخة لاستقبال العيدين الاسلاميين الرئيسيين؛ ولم تكن الخلافة الفاطمية أقل بذخا وبهاء فى الاحتفاء بباقى المواسم والأعياد الأخرى كيوم عاشوراء، ويوم الغدير، ويوم النيروز، وعيد الشهيد وغيرها، فقد كانت تسبغ عليها جميعاً أقصى مظاهر الروعة والفخامة، وكانت هـذه المواسم والأعياد لدى الشعب المصرى أياماً مشهودة تفيض بهجة وحبوراً؛ وكانت الخلافة الفاطمية ترمى بترتيب هـذه الرسوم الباذخة إلى غايتين: الأولى أن تبث هيبتها الدينية بما تسبغه من الخطورة والخشوع على بعض المظاهر والرسوم، والثانية أن تغمر الشعب

(١) الأساتذة المحنكون هم جماعة من أكابر موظفى القصر الفاطمى يتولون أخص شؤون الخليفة، ومنهم زمام القصر، وشاد التاج الشريف، وصاحب بيت المال، وصاحب الدفتر، وصاحب الرسالة، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس، وقد كانوا أكثر الناس اطلاعا على أسرار الخليفـة.

المصرى بسيل من الحفلات والمآدب والمواكب الباهرة ، وأن تأسره بمظاهر جودها الوافر ، وأن تنثر عليه ما استطاعت من آيات البهجة والمرح ، كل ذلك لكى تكسب ولاءه وعرفانه وتأييده ؛ وقد كانت الخلافة الفاطمية تشعر دائماً أنها لم تكسب كل ولائه وتقديره ، وان سياستها المذهبية تبث إلى نفسه شيئاً من الوحشة والريب ؛ بيد أنه يجب أن نقول من جهة أخرى إن الدولة الفاطمية كانت بحق دولة البهاء والبذخ الواسع ، وكانت هذه الرسوم والمظاهر الرائعة من بعض مظاهر قوتها وعظمتها وغناها ؛ وكانت هـــذه الروح الفخمة الباذخة تطبع كل رسومها ومظاهرها ، فى القصر وفى الخارج ، وفى السياسة والدين والادارة ، وفى الحياة العامة والحياة الخاصة ؛ وقد سرت آثار كثيرة من هذه المظاهر والرسوم الفخمة الشائقة إلى كثير من القصور والدول الاسلامية التى تعاقبت على مصر بعد الدولة الفاطمية ؛ وقد نلمس إلى اليوم فى بعض الرسوم والنظم الدينية ، وفى بعض مظاهر أعيادنا ومواسمنا لمحات من آثار البذخ الفاطمى

محمد عبد الله عنان

التعليم والحالة الاجتماعية
فى مصر
للأستاذ اسماعيل مظهر

قرأت فى العهد الأخير تقريرين عن التعليم فى مصر كتبهما عالمان استقدمتهما وزارة المعارف لينظر كل منهما فى ناحية خاصة من نواحى التعليم ودرجاته ، وأفضى كل منهما بآراء ناضجة فيما كلف به من بحث . فكتب مستر مان مفتش المدارس وكليات المعلمين بادارة المعارف بانجلترا تقريراً مدعماً بالاحصاءات فائضاً بالأفكار والنظريات ، وكتب مسيو كلاباريد أستاذ علم النفس فى كلية العلوم بجامعة جنيف تقريراً آخر عمد فيه إلى نظريات حديثة فى علم النفس والتربية لا نعلم مقدار ما فيها من خطأ أو صواب ، لأن الحكم على مثل هذه الأشياء يجب أن يرجع فيه إلى أهل الاختصاص ، وإن كانت النظرة العاجلة التى ألقيتها على هذا التقرير قد أقنعتنى ، وقد أكون مخطئاً ، بأن نظريات كلاباريد ربما تكون قد أسلمت به إلى نتائج لا يؤيدها الواقع ولا تسندها الحقائق التى يعرفها كثير من المصريين معرفة أولية لا تحتاج إلى نظر علمى ولا إلى استنتاج من مقدمات

هـذا إلى أن العالمين الأوربيين إن كانا قد بحثا فى التعليم المصرى كل من ناحية اختصاصه ، فان بحثهما إنما جاء قاصراً على الدائرة التى عينتها له وزارة المعارف وفى ضوء المعلومات التى زود بها ، وفى الحدود التى رسمت للتعليم فى مصر منذ خمسين سنة مضت . فان كانا قد أحسا بشىء من النقص ، أو وقع لهما شىء يستحق النقد ، فانما وقع لهما فيما هو داخل فى هذه الحدود أو مشمول بها . فلم ينظرا مثلا فيما يجب أن يؤدى التعليم فى مصر من حاجات الحياة العامة فيها ، وفى علاقة التعليم بالحالات الجديدة التى تكتنف الحياة المصرية فى تطورها الحديث . على أن هذا لا ينزل من مكانة ما كتب العالمان الفاضلان أو يقلل من قيمة آرائهما . فان المصريين أنفسهم أحق بأن يتلمسوا مكان النقص الذى يحسونه فى التعليم من ناحية علاقته بالحياة عامة ، وبالحالة الاجتماعية خاصة

ومهما يكن من أمر الباحث الأوربى فى الشؤون المصرية ، ومهما يكن من علمه وتمكنه فيه ، فانه من المتعذر عليه كما قال مستر مان فى تقريره أن يلم به إلمام المحيط بالحقائق الأساسية التى يحس بها المصريون أنفسهم من غير استعانة بآراء أو نظريات . ذلك بأن لكل أمة إحساساً بما يعتورها من نقص لن يفقه الغريب عنها شيئاً من خصائصه إلا بالجهد الشديد وطول التأمل والتفكير . مثل ذلك أن التقريرين اللذين وضعهما العالمان الأوربيان لم يلمسا الحقائق الأولية فى حياتنا الاجتماعية وعلاقتها بالتعليم ؛ ذلك فى حين أن كل مصرى يشعر شعوراً عميقاً بأن عصراً من عصور التطور الفكرى قد آذن بأن تشرق شمسه فى سماء مصر ، وأن عصراً آخر قد أخذ فى الأفول . أضف إلى ذلك أننا نشعر بأن حالاتنا الاجتماعية قد اتجهت فى تطورها متجهاً ألقى على التعليم فى مصر عبئاً جديداً لم يشعر به آباؤنا ، وقد نشعر بعض الأحيان بشىء من القلق ، وقد نشعر بأن هذا القلق قد يتضاعف بعض الأحيان حتى ليذهب بالبعض إلى حد اليأس من

مستقبل آلاف الطلبة الذين يتعلمون اليوم فى المدارس وتخرجهم الـكليات زرافات كل عام . بل إننا أخذنا نشعر بكل ما شعر به الأستاذ هنرى جيمس عند ما قال : إن الاحتفاظ بحالة اجتماعية ثابتة الدعائم قوية الأركان فى جمعية يكتب على المتعلمين فيها عيش الفقر والذلة ، لأمر فيه من البعد عن حقائق الطبع البشرى بقدر ما فى محاولتك بناء هرم يرتكز على رأسه لا على قاعدته من بعد عن حقائق الطبيعة الـكونية

ولقد يمارى مفكر فى أن ذلك الشعور العميق الذى يكتنف تفكير الـكثيرين من المصريين إنما له أسبابه الغامضة البعيدة عن ادراك الذين لا يفكرون فى التعليم إلا بقدر ما يفكرون فى أداة تخرج متعلمين ، ولا يزيد خطره فى نظرهم عن خطر آلة تخرج أحذية أو لفافات تبغ فى نظر عامل يجهل حقيقة الآلة التى يديرها ، ولا يعرف عنها إلا أمرين : شكلها الظاهر ، وثمرهـا الذى يجنيه منها

على أن الثمر الذى أخذنا نجنيه من أداة التعليم عندنا قد جدت عليه ظاهرتان جديدتان : الأولى أن طعمه قد أخذ يتغير ، والثانى أن صنفه أخذ ينحط مع كثرة الانتاج . ولا شك فى أنهما ظاهرتان يعلل بهما كثير من الظواهر الاجتماعية التى تمر علينا فى كل يوم صور منها ، وأخصها كثرة العاطلين من المتعلمين ، والجهد الذى يلقاه المجدون منهم فى تحصيل رزقهم الحلال

ولا ريب فى أن هذه الظاهرات ترجع إلى أسباب أخذت تتجمع منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، حتى أفضى بنا التطور إلى الحالة التى تكتنفنا اليوم . ولما كان الغرض الذى أرمى اليه من نشر هذه المقالات إنما يتجه إلى وصف العلاقة التى تقوم اليوم بين التعليم والحالة الاجتماعيـة والمهمة الـكبرى الملقاة على عاتق التعليم فى تنظيم الحالة الاجتماعية ودرء الأخطار التى قد يتعرض لها المجتمع المصرى بقدر ما فى مستطاع التعليم أن يدرأ منها ، وجب أن أظهر أولا أن أشد الأخطار التى يتعرض لها الـكيان الاجتماعى فى مصر من ناحية التعليم أن الشاب المتعلم فى مدارسنا العليا يفقد مع التعليم استقلاله الذاتى ، باعتبـاره قوة لها حقيقة مستقلة عن القوى الأخرى التى تكتنفها . وقد يشعر بذلك الشاب المتعلم ، وقد يشعر به الذين يعلمون أولادهم ، حتى لقد نجد أن بعض القادرين على التفكير ينظرون نظرة تشاؤم إلى المستقبل القريب ، وإن لهم فى ذلك لحقا ، وإن لهم فى تشاؤمهم لأسبابا تبرره وحقائق تمليه ، ومن أجل أن نظهر تطور الحالات التى أفضت بنا إلى هذه النتائج ينبغى لنـا أن نذكر حقائق خمسا نرجع فيها إلى تاريخنا بعض الشيء :

أولا : حكمت مصر منـذ أبعد العصور على نظام تباين الطبقات الاجتماعية ، وعلى أساس الفوارق فى الحقوق العامة ؛ غير أن الطبقات أخذت تتقارب حقوقها الطبيعية وتنتفى من بينها الفوارق من عهـد قريب ، فالـكل الآن متساوون أمام القانون ، ولـكل مصرى حق الانتخاب والحكم من طريق مجلس النواب . فأخذ مظهر وجود طبقتين متمايزتين فى الحقوق المدنية يزول شيئاً بعد شيء ، فلقد كانت مصر القديمة مكونة من ثلاث طبقات هم : الحكام والـكهنوت والشعب ؛ ومنذ غزو الاسكندر وحكم البطالسـة إلى حكم المماليك حتى بدء الاحتلال الانجليزى كانت هنـاك طبقات تختلف حقوقها وامتيازاتها ؛ أما الآن فقد انتفت هذه الفوارق نظرياً ، ونقول نظرياً لأننا لا نزال نشكو من بعض مساوئها ، بالرغم من أن أصغر فلاح فى مكنته أن يقاضى أعظم عين فى البلاد ، وأن يأخذ حقه منه إن كان له حق

ثانياً : بالرغم من أن نظام الطبقات المتباينة فى الحياة والحقوق هو النظام الذى اتبع فى مصر منذ أبعد العصور ، وبالرغم من أن حالة مصر الاجتماعية من خمسين سـنة مضت كانت تـكفل الاستقلال المادى لطبقتى ذوى الامتيازات والفلاحين معاً ؛ بأن تحمل طبقة الفلاحين ، وهى الطبقة العاملة ، العبء كله ، بأن تكفى نفسها وتكفى حاجات حكامها بقدر الاستطاعة ، فان الحالة الجديدة ، حالة التساوى أمام القانون فى الحقوق ، قد أحدثت ظاهرة اجتماعية جديدة ، كان سببها أن الفلاح قد خرج من كونه عاملا لا حق له فى ملـكية الأرض ، إلى رجل حر له حق العمل متى شاء والانقطاع عنه متى أراد ، وله فوق ذلك حق الملك ، بل نقول إنه انتقل من عامل إقطاعى إلى رجل حر ، فقامت على هذه الحال ظاهرة اجتماعية جديدة

ثالثاً — هذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة التي قامت على تحرير الفلاح المصري وعتقه من نظام الاقطاع الذي ظل خاضعاً له طوال القرون، قد قلب آية الحياة الاجتماعية في مصر. فان هذا الفلاح لم يكن ينقصه شيء ليكون مستقلا تمام الاستقلال في حياته إلا قانون يحميه، ونظام اجتماعي يجعله يشعر بأنه قوة لها أثر في الحياة؛ فلما وقع ذلك بالفعل أصبحت الطبقة الدنيا أي طبقة الفلاحين المسخرين التي كان عليها أن تحفظ استقلالها واستقلال الطبقة التي تعلوها، سيدة نفسها، وأصبحت طبقة الملاك وأصحاب الجاه كما كانت في الحالة الأولى عبئاً عليها، ولكن في صورة جديدة، هي صورة أخذت شكل صراع خفي بين طبقتين

رابعاً — ولقد انحصر مظهر هذا الصراع في طبقة تحررت من قيود النظام الاقطاعي وهي الطبقة المنتجة العاملة بيدها، فأصبحت مستقلة بنفسها. وهي طبقة قادرة على الحرث والغرس والحصاد في بلاد لن يزرعها غيرها، ولن ينتفع بها غيرها؛ فهي مستقلة ما دامت من فوق الأرض التي يغذيها النيل بشرايينه الحيية؛ وهذه الخطوة الجديدة أحدثت ظاهرة أخرى

خامساً — عكفت الطبقة الأخرى، طبقة أصحاب الجاه على مطلب آخر تتق به النتائج التي تترتب على استقلال الطبقة العاملة ولم تجد من وسيلة أقرب من تعليم أولادها ليكونوا حكام البلاد. ولكن طبقة الفلاحين أخذت تزاحم الطبقة الأولى في هذا المضمار، فأخذ الأثرياء منهم يعلمون أولادهم ليكونوا حكاما فنجحوا. ولكن بعد أن ملئت الحكومة عما تحتاج من حكام وكتبة قام شعور جديد بأن أولاد موظفي الحكومة والأثرياء الذين أخرجوا أولادهم من محيط الفلاحة الى محيط العلم أقل استقلالا مع تعلمهم من أبناء الفلاحين الجهلاء. وأصبحنا الآن والموقف بين متعلم عاطل يتطلع الى مرتب أبيه أو ثروته ليعيش، وفلاح جاهل لا عمدة له في الحياة إلا خبرته الموروثة في فلح الأرض وقوة عضلاته ومحراثه وفأسه وماشيته. فهو رجل مستقل تمام الاستقلال في الحياة، على العكس من المتعلم العاطل. فاذا كانت الغاية من التعليم تخريج رجال مستقلين يكافحون في الحياة كفاح المنتج لا كفاح المستغل لكفاح غيره، رأينا أن التعليم لم يف ببلوغ الغاية الأخيرة منه، ما دمنا نرى أن ابن الفلاح بخبرته الموروثة مستقل في حياته منتج بعمله، في حين أن المتعلم يفقد مع التعليم استقلاله الذاتي ويتطلع دائما إلى حياة الركود لا إلى حياة الكفاح التي لم يهيء له تعليمه طريقها الواجب

على أن قليلا من التأمل في هذه الالمامة التي ألممنا فيها بأوجه التطور الاجتماعي الذي انتابنا منذ خمسين سنة خلت، يحمل الفكر على المضي خطوة أخرى في تأملات إذا أحطنا بها نكون قد فرغنا من التمهيد للفكرة التي نريد أن تكون الدعامة التي يقوم عليها أساس التعليم في مصر، فنرى ما يأتي:

أولا: إن طرق التعليم التي عكفنا عليها إلى الآن شطرت الأمة معسكرين: الأول معسكر المتعلمين على القواعد الأوربية التي اتبعناها في مدارسنا، وخرجوا بهذا التعليم عن جو ثقافتنا التقليدية، فأصبحوا نصف مصريين؛ والثاني معسكر الفلاحين الذين أبعدناهم عن الثقافة الحديثة، وحافظنا على ثقافتهم التقليدية فصاروا بذواتهم في القرن العشرين، وبعقليتهم في مصر الفرعونية

ثانياً: كونا بهذا طبقتين غير متجانستين، بل مختلفتين تمام الاختلاف، بحيث لا تجمع بينهما من رابطة إلا الرابطة الطبيعية التي هي رابطة الدم؛ فكنا في ذلك أشبه بالمستعمر الذي يرغب دائماً في أن يزيد من الصدوع التي تفصل بين طبقات الأمة، لا أشبه بالمصلح الذي يعمل دائماً على أن يرأب تلك الصدوع ويقرب بين الطبقات حفظاً للتوازن الاجتماعي. ولا شك في أن هذه السياسة تؤدي بطبعها، وعن غير قصد، إلى حرب الطبقات التي نحن مقدمون عليها حتماً إذا استمر التعليم على نماذجه الحاضرة وأخذت تلك الصدوع والفوارق تزيد عاماً بعد عام

ثالثاً: دليلنا على هذا أن ابن الفلاح إذا أثرت فيه الثقافة الحديثة، سواء أكان تعليمه في مصر أم في إحدى جامعات أوربا، أصبح لا ينشق في جو بلاده نسيم الثقافة التي نشأ فيها، فتلحظ فيه روح التبرم بأبيه الفلاح وأمه الفلاحة، وتأنس فيه نزعة قديمة تدفعه دائماً إلى حب العودة إلى الجو الذي نشأ فيه، فتراه قلقاً غير مستقر، هدّاماً لا بنّاء، يريد لو تتاح

له الفرصة ليعود إلى الجو الذى كان فيه؛ فاذا أعيته الحيلة، كما يحدث دائماً، واضطر إلى البقاء فى جو بلاده، هجر الريف، مرباه الأصيل ومربى آبائه وأجداده منذ قرون طويلة ومنشأ تقاليده منذ أزمان لا تمحها الذكريات، ليسكن فى مدينة من المدن، فيفضلها مع عيش الفقر والعوز على الريف مع عيش الراحة والهناءة؛ وتراه ينزع إلى البطالة فى مدينة دون العمل الذى هو أجدر بحياة الرجولة فى الريف. ومن هنا تتكون الطبقات المتبرمة بالحياة، العاملة على الهدم دون الاصلاح، النزاعة إلى الأفكار المتطرفة والثورات. أولئك الذين عناهم العلامة هنرى جيمس فى كلمته التى سقناها من قبل

رابعاً: وأنت أينما وليت وجهك رأيت أثر المسكرين اللذين كونهما التعليم المصرى ظاهراً جلياً. فأنت تنتزع الولد من حضن أبيه الفلاح وأمه الفلاحة، فكأنك تنزعه من حضن «مصر الفرعونية»، لتنشئه فى حضن «مصر الأوربية»، وتخرجه بعد ذلك قاضياً أو محامياً أو مهندساً أو تاجراً أو رجل إدارة أو غير ذلك، ولكن بروح أوربية تكسوها ثياب مصرية شفافة؛ وبالأحرى تخرج رجالاً انبتت صلتهم بتقاليدهم الثقافية القديمة. وأنت فى دور العدل وفى المتاجر وفى مراكز الأدارة وفى عيادة الطبيب ومكتب المهندس، واقع فى كل دقيقة على مظهر من مظاهر التفرقة بين المسكرين. فالفلاح البعيد عن مدنية المدن، وبالأحرى البعيد عن جو الثقافة الأوربية الذى نشأ فيه القاضى والمحامى والتاجر ومأمور المركز ومعاون الادارة وطبيب القرية، يمثل معسكر مصر الفرعونية؛ أما هؤلاء فانهم يمثلون «مصر الأوربية»، ولا شك فى أن هذا مظهر من مظاهر الانحلال الاجتماعى، لا يسأل عنه فى مصر شىء بقدر ما يسأل التعليم

خامساً: بالرغم من أن المتعلم قد نزع بفكره نزعة أبعدته عن ثقافة آبائه التقليدية، فقد أثرت تلك الحال فى مزاجه وتصوراته ونظرته الفنية فى الحياة، تلك النظرة التى يجب أن تكون مصرية صميمة، ويجب أن نحافظ عليها نقية على سجيتها لنكون مصريين جديرين بالمصرية، وكان من نتائج هذا أن المتعلمين يفضلون أقذر قرية أوربية على ريفنا الجميل وبحيراتنا الفاتنة، حتى لقد كادت تقوى النزعة الأوربية فينا على وحى النيل نفسه؛ والسبب فى هذا أننا كنا خلال الخمسين عاماً الماضية كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، إذ انتزعنا من أرواح ناشئتنا «مصريتها»، ولم نترك فيها من المصرية إلا لون البشرة، ولقحناهم بالروح «الأوربية» فلم نبق مصريين كأهل الريف، ولم نستطع أن نكون أوربيين كفتيان «بيكادلى سركس»

سادساً — بدأت هذه الحال تؤثر فى مرافقنا الحيوية، حتى لقد نزعنا إلى القول بأن كل ما هو أوربى جميل، وكل ما هو مصرى ردىء؛ وكل فكرة مصرية لعب ولهو، وكل فكرة أوربية جد ورجولة؛ وكل فن مصرى بدائى وغير متفق وروح العصر، وكل فن أوربى مهما كان فيه من بعد وتضاد مع نزعاتنا وتقاليدنا المصرية بل ومع آدابنا المرعية والعرف الانسانى، حضارة وتمدين؛ وشملت هذه الحال فتياننا وفتياتنا، فألسنتهم لا تتحرك إلا بكل ما هو أوربى غربى، وقلوبهم لا تهفو إلا لكل ما هو بعيد عن المصرية

ولا شبهة فى أن المسكرين يتهيآن الآن: الأول للعمل على خراب الريف، والثانى لا حول له ولا قوة، فسوف ينهزم ليترك الريف خراباً. وإنما يخرب الريف بخراب القلوب التى يجب أن تؤمن بأن الريف هو مصر، وأن مصر هى الريف، وأن المدن أسواق لذلك الريف لا أقل ولا أكثر. إنما يخرب الريف بأن نحب المدينة ونهجر الريف، فكأننا هجرنا مصر. ولا مخرج لنا من هذا إلا بأن نصل ثقافتنا الحديثة بثقافتنا التقليدية؛ فيكون المصرى فلاحاً مصرياً روحاً ونزعة وخلقاً، ثم قاضياً ومحامياً وطبيباً ورجل إدارة من بعد ذلك. يجب أن تكون ماهيتنا مصرية وأعراضنا أوربية، لا أن نعكس الآية بأن نعمل أولاً على محو مصريتنا، فاذا تم لنا ذلك رحنا نتيه بأننا أتينا بأعراض أوربية ولقحنا بها ذوات لا ماضى لها، وبالأحرى لا ماهية لها

تلك مقدمات لا بد منها إذا أردنا أن نبحث حالتنا الاجتماعية من جهة علاقتها بالتعليم. وسنرى فى البحوث التالية كيف يمكن أن نستفيد منها

اسماعيل مظهر

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

اكتشف بستور لقاحا لداء الكلب هو عبارة عن ١٤ حقنة من مكروبه بعد اضعافه إضعافا متفاوتا فى المقدار يحقن به المريض . وجرب هذا فى الكلاب فكان النجاح . فلما أراد تجربته فى الآدميين تخاذل وخشى العاقبة . حتى جاءه ولد عضه كلب مسعور فأشار عليه الأطباء بتجربة اللقاح فيه لأنه ميت لا محالة ففعل ونجح اللقاح ، وكان أول لقاح نجح فى آدمى

عندئذ ذهبت عن بستور مخاوفه ، وفارقته وساوسه . فكان موقفه من هذا الطفل هو عين موقفه من أول كلب حقنه رُو Roux باللقاح فى مخه بغير رضا أستاذه . خشى بستور على الكلب أن تُثقب جمجمته ، فلما ثقبها رُو بغير علمه وصح الكلب من بعد ذلك ، أكبّ بستور على رؤوس الكلاب تثقيباً وعلى جماجمها تخريقاً . وها هو ذا الآن يخشى عاقبة اللقاح الجديد على الطفل المكلوب ؛ فلما صح الطفل واشتُفى من دائه ، ماتت فى نفس بستور شكوكه ومخاوفه ، تلك الشكوك والمخاوف التى لم تتغلغل أبداً فى نفسه تغلغلا كبيرا ، ومع هذا تراءت له جسيمة واضحة ، أرته إياها نفسه الفنانة وهى تكثّر القليل وتجلو الغامض . ثم إذا به يصيح للدنيا يُعلن أهل الأرض أن فى إمكانه دفعَ الكلَب عنهم وحمايتهم من بلواه

وأخذت جماهير المكلوبين المعذبين تتدفع الى معمله بشارع ألم Ulm تطلب ربّه ، ربّ المعجزة الكبرى . وجاء على هذه الحُجر القذرة القليلة حينٌ من الدهر وقف فيها البحث العلمىّ وقوفا كاملا . واشتغل بستور وعَونُاه فى فرز الخلائق التى اجتمعت عليهم من كل أمة . وتعددت لغاتهم ، فكنت تسمع أنغاماً متنافرة ، وألسنة متباينة ، كلها تصيح صيحة واحدة : « بستور ! أنقذنا ! » فلبى نداءهم وأنقذهم ؛ هذا الرجل الذى لم يكن طبيباً يوماً ما ؛ هذا الرجل الذى كان يقول فى سخرية يمازجها العُجْب : « هل أنا إلا كيميائى ؟ » . نعم أنقذهم رجل العلم هذا الذى قضى حياته ينازع الأطباء ويخاصمهم خصاماً مرّاً ؛ أنقذهم بأن حقنهم بتلك الأربع عشرة حقنة من مكروبه المجهول المضعّف بعضَ الاضعاف ؛ تلك الأربع عشرة المعقّدة التى لم يستسغها عقل أو يألفها منطق : حَقَن تلك الأربع عشرة فيهم ثم ردّهم بعدها مُعافين إلى أركان الأرض الأربعة

وجاءه من روسيا من بلدة سملنسك Smolensk تسعة عشر فلاحا من الموجيك عضهم ذئب مسعور قبل ذلك بتسعة عشر يوماً . وجرح الذئب خمسة منهم جروحاً بالغة فعجزوا عن السير فلم يكن بد من إرسالهم الى المستشفى الكبير . وكان منظر هؤلاء الروس غريبا فى طواقى الفرو فوق رؤوسهم وهم ينادون : « بستور ! بستور ! » وهى الكلمة الوحيدة التى عرفوها من لغة البلد الذى حلّوا فيه

وثارت ثائرة باريس — على نحو لا يعرفه إلا باريس — قلقاً على هؤلاء المنكوبين الذين لا مفرّ لهم من الموت بعد أن طال الزمن عليهم مذ عضهم الذئب بنابه . وتحدّثت باريس فلم يكن لها غير هذا من حديث . وقام بستور ورجاله بحقن الألقحة فى هؤلاء المناكيد الذين نضب حظهم من الحياة وقل رجاؤهم فيها . فالعشرة كان يمضهم الذئب فيموت منهم على المعروف ثمانية ، فكان على هذا الحساب لابد أن يموت من أصحابنا خمسة عشر ، قال الناس حينما اجتمعوا : « من الجائز أن يموتوا جميعاً فلا ينجو منهم أحد ؛ فقد مضى على عضهم أسبوعان وزيادة . مساكين والله ! وستظهر عليهم أعراض الداء ، وستكون شديدة فظيعة . ضاع الرجاء فيهم وحُمّ القضاء ! »

ولعل الناس صدقوا فيما قالوا ! ولعلهم حقا جاءوا بعد فوات الأوان ! وعزّ على بستور الطعام ، وعزّ عليه النوم ، فانه خاطر فأمر رجاله فحقنوا الألقحة الأربع عشرة فى هؤلاء التعساء صباح مساء ليقتصدوا نصف الأيام الضائعة عسى أن يلحقوا بالداء فينفع الدواء

وأخيراً ... ح بستور صيحة الفخر عالية ، وصاحت باريس وفرنسا والدنيا أجمع صيحة الشكر ، وأنشدت أنشودة النصر حارّة داوية . فاللقاح أنجى الفلاحين الروس إلا ثلاثة . فعاد الفلاحون إلى بلادهم فاستقبلهم بذلك السرور الرهيب الذى تجده القلوب إذا هي دُعيت للترحيب بميّت منشور ، للترحيب بهؤلاء الرجال المرضى الذين ودّعوا بلادهم والأمل منهم مقطوع ، فزاروا لاشك حرماً قدسيا لوليّ من أولياء الله ، ثم عادوا يسعون على أرجلهم إلى ديارهم سعي الأحياء . وبعث قيصر الروس الأعظم إلى بستور صليب القديسة حنا الماسيّ ومائة ألف من الفرنكات ليبدأ بها فى بناء بيت لصيادة المكروب . فقام هـذا البيت فى شارع ديتو Dutot وهو المعمل الذى يُسمى اليوم معهدَ بستور . وجاءه غير المائة ألف مال من العالم أجمع ، من كل قطر من أقطاره ، وكل ركن من أركانه ، حتى تكدّست لدى بابه الملايين من الفرنكات ليبني بها المعمل ليقتنص فيه مكروبات فاتكة أخرى ، وليجد لها فيه ألقحة ماضية أخرى . نعم تكدست الملايين على بابه ، فقد كانت عاطفة قوية تلك التى أندت أكُفّ هذا الخلق الكثير ، عاطفة قوية كالتى تثيرها المصائب إذا نزلت بالناس فادحةً شاملة

وتم بناء المعمل ؛ ولـكن كان عمل بستور فى الحياة قد تم كذلك . فلقد كان نصره الأخير كبير الوقع فى نفسه ، ثقيلا على فقار ظهر احتملت أثقال العمل الشديد مدة أربعين عاماً فى تواصل لم يُسمع بمثله أبدا ، فناء جسده تحت آخر الأحمال ، وانقطع وتره بآخر الأثقال ، فمات فى عام ١٨٩٥ فى بيت صغير كان على مقربة من البيوت التى حفظوا بها عندئذ كلابه المسعورة فى فلنوف ليتانج Villeneuve l'Etang على أطراف باريس . ولفظ آخر أنفاسه كما يلفظها الـكاثوليكيّ العريق فى كَثْلَكَته أوالصوفيّ وقد كانه طول حياته : فى إحدى يديه كان الصليب ، وفى اليد الأخرى كانت يد أكثر أعوانه صبرا وأقلهم شهرة وأكبرهم خطرا — تلك مدام بستور . وكان حول سريره عَوْناه رو وعونه شمبرلاند ، وأعوانه الباحثون الآخرون ؛ أولئك البُحّاث الذين براهم نشاطه الجمّ فى حياته بريا ؛ أولئك البحاث الذين أسلموا له القياد فدار بهم فى هجيرة العمل دوراناً مستديماً قاسياً مرا ؛ أولئك الأعوان الذين أوحى إليهم من وحيه واقتبس لقلوبهم قبساً من قلبه ؛ أولئك الخلصاء الذين خاطروا بأرواحهم فى انفاذ خططه الجامحة فى محاربة الموت ، قاموا اليوم حول سريره يودّون أن يفتدوه لو أمكن الفداء

هكذا انتهت حياة هـذا الرجل خير انتهاء . هذا الانسان الغالى فى إنسانيته ، صائد المكروب ومنجى الأرواح ، الثائر الوثّاب ، الناقص الخطّاء !

ولـكن لبستور خاتمة حياة أخرى يتجه لها خاطرى أكثر من اتجاهه لهذه . كانت فى عيد ميلاده عام ١٨٩٢ حين استتم سبعين عاماً كاملة ، فاحتفلوا به فى السربون بباريس احتفالاً عاماً رائعاً كبيرا أهدوا إليه وساما . وكان لستر Lister حاضرا ، وكان رجال كثيرون مشهورون من أمم أخرى حاضرين ، فاحتل هؤلاء العظماء رقعة المكان الدنيا حيث مجالس العظماء ، واحتل الطبقات العليا من حولهم شباب فرنسا وطلاب السربون والكليات والمدارس العليا ؛ وامتلأ المكان بالأحاديث ، واختلطت به أصوات فيها رنة الشباب . وفى برهة قصيرة انقطعت الأحاديث ، وهدأت الأصوات ، وخيّم على المجتمع صمت رهيب ؛ ففى الممشى تراءى بستور يجر خطاه عرجا ؛ وقد أخذ رئيس الجمهورية بذراعه واتجه الاثنان إلى المنصّة فى رأس المكان ، وصدحت موسيقى الحرس الجمهورى بدور جَلْجَلَ فى الفضاء ، كذلك الذى يُحيّا به الأبطال العظماء وقد عادوا من ساحة النصر بعد أن روّوْها عبثاً بدماء الأعداء ، وحجبوا ثراها بغير طائل بألوف الأشلاء

بستور يموت

وكان فى الحاضرين لِسْتر Lister أمير الجرّاحين ، فقام واحتضن بستور ؛ وهتف الشيوخ الأجـلاء من مجالسهم ، والشبان الطُّلاّب من شرفاتهم ، حتى ارتجت الحيطان ؛ وأخيراً جاء دور الكلام لصاحبنا صياد المكروب الشيخ ، وكان قد ذهب عنه صوته الحديد الرعّاد الذى كان يرفعه فى الخصومات عاليا ، فقام نجله يقرأ عنه خطابه ؛ وكان ختام هذا الخطاب أنشودة للرجاء ، لا بما تضمنته من خلاص الأنفس ، بل على الأكثر بأنه دعوة دينية حارة تفتح للرجال سبيلا جديداً من الحياة ؛ وكان بها يدعو شباب الجامعة وطلبة المدارس العالية ، قال :

المازني العاشـــق ...!

للأستاذ «أبو سلمى»

ما قرأت كلمة أستاذنا المازني « في الحب والمرأة » إلا أيقنت أن هنالك مؤامرة على الحبّ — واحسرتا — فجزعت ..... لا على الأستاذ المازني فانه إذا لوّح بيده أو زوى ما بين عينيه رفع خصومه الرايات البيض ....

ولا على المرأة ... فان لها من لسانها الطويل — بقطع النظر عما إذا كان وراءه شيء أم لا — ما قد تستطيع به الوقوف أمام المازني ...

ولكنني جزعت على الحب في هذا الزمن الذي طغى فيه العقل — أومجموعة الاختبارات والأمزجة والطباع — ولو أستطيع لرميت به (أي العقل) مربوطا بكتلة من الحديد تثقله — إلى الهوة السحيقة التي تليق به

والمازني عزيز على إخوانه وتلامذته — وأنا منهم — المنتشرين في كل قطر ، وحبيب إلى قلوبهم — وهم عدد النجوم — وما كان لمثلي أن يرفع يده وهي شلاء أمامه ، ولكن حملته على الحب والمرأة أثارت عليَّ جنودا لا قبل لي بها ، تعرف عطفه عليَّ وحبه لي ، وهو أدرى بقوتها ..

وما دام المرء يخلق كل يوم خلقاً جديداً فلم لا نأخذ الخلقة التي نميل اليها وتستهوينا ؟ وما دام الانسان يتحول إلى صور شتى فلم لا نهفو إلى الصورة التي تروق في أعيننا ؟ والحياة قصيرة ، والهوى فضّاح ، فلأعد إذاً إلى أعماق الماضي ، إلى المازني الفتى الذي دفنه :

مات الفتى المازني ثم أتى من مازن غيره على الأثر

أزيل عنه اللفافات وأبعثه بشراً سوياً تتوهج عيناه بنور قلبه ...

أيها الفتى المازني ! أين أنت تنتقم من المازني الذي أتى على الأثر وتكون لنا عوناً عليه ؟ ! ... ألست أنت الذي كنت تطوف حول دار الهوى وتتمتم وعيناك نديتان :

أوصدوا الأبواب بالله ولا
تدعوا العين ترى فعل البلا
وامنعوا دار الهوى أن تبذلا
إن للدار علينا ذمما وقبيح خونها بعد الخراب

من قصيدة « الدار المهجورة »

ألست أنت الذي كان يحوم حول الحمى في الليل مضلل الرقيب ، وجامع الحبيب بالحبيب — ولا أدرى إذا كنت تلبس طربوشاً أم لا — فتنظر إلى شباك حسنائك وروحك تتراءى خلف مقلتيك حيناً وفوق شفتيك حيناً آخر ، حتى إذا رمتك باللحظ زفرت وأنشدت :

ما أفصح اللحظ يا حبيبي وأعذب البث بالعيون
لحظ يضيء الذي توارى في ظلمة الغابر الدفين

من قصيدة « لحظ الحبيب »

فاذا هبطت — هي — الى الحديقة واختبأت بين الأغصان أنبأك همس الازهار عن مكانها فتقول :

وودت لو تنفع الأماني لو كنت لدناً من الغصون
وليتني صيدح يغني في ظلك الوارف الأمين

من قصيدة « لحظ الحبيب » أيضا

فاذا نادتك وظهر اللفظ من بين شفتيها مشتملاً يهديك إلى دنيا الغرام هتفت أنت :

أظل إذا اسمتك في مسمعي يرفّ عليّ جناح الغرام

« لا تسوموا أنفسكم التشكك في الأشياء ، فالتشكك أرض قاحلة لا تُنبت ، وسحاب جَهام لا يُمطر ؛ ولا تحملوها على الريبة في قيم الأمور وأوضاعها فتحملوها على الزهادة وتُفقدوها الثقة بالله . واحذروا أن تركنوا إلى اليأس من أجل ساعات سوداوات تأتي على الأمم ؛ ذلك أن لكل حال غاية ، ولكل كرب نهاية ، والليل الأسود يعقبه النهار الضاحي . اطلبوا العيش في المعامل والمكاتب ، ففي أجوائها الساكنة تجدون طمأنينة النفس وسلامها . سلوا أنفسكم : ماذا صنعتِ أيتها الأنفس بالذي كان من تعليم وتثقيف ؟ فاذا تقدمت السنُّ بكم فسلوها ثانية : وماذا صنعت لهذا البلد الذي من أرضه كان غذاؤك ومن مائه كان ماؤك . حتى إذا جاءتكم الشيخوخة فلعلكم عندئذ تجدون أكبر الهناءة في الاحساس الغَمْر اللذيذ بأنكم ساهمتم مع المساهمين وعملتم مع العاملين بطريقة أيا كانت لتقدم هذه الانسانية ولخيرها . . . »

(انتهى بستور) أحمد زكي

شفاه يلحجن أنفاسه ويلثمن ألفاظهن الظوامى

من قصيدة « لفظ الحبيب »

وملف اليها ، ويلفكما الليل فى طياته « كما يغيب سر المرء كتمان » والكلام لك ، فتناجيها :

عجب كيف يرتضى البعد عنا من عبدنا فى حسنه الله جلا
أنت أفسدتنى وعلمتنى الحب فهلا أصلحت منى هلا
كان خيراً من السهاد رقادى فى حمى ظلك الوريف وأحلى

من قصيدة « المناجاة »

وتشير اليك بتلك اليد التى كنت تعتقد أنها تفتح لك طريق سعادتك فتطمئن الى الصدر الرحيب ، وتغفو بين الأحلام على ترنيمتها :

نم هنيئاً فى ظلى الفينان وانس برح الهموم والأشجان
وانس ما كان من زفير على الهجـ ـر ودمع يجرى بغير عنان
هذه راحتى على وجهك النضـ ـر وروحى وريفة الأفنان
وفؤادى مرفرف بجناحيـ ـه حنانا فانشق نسيم الحنان

من قصيدة « رقية حسناء »

وحينما تقضى لبانات الفؤاد المعذب تودع الحبيب وتقول :

ودعته والليل يخفرنا والبدر يرمقنى وأرمقه
ولرب خد بت ألثمه والدمع يطفىء ما أحرقه
والورد أقطفه لوجنته والشوك فى قلبى مفوقه

من قصيدة « ليلة وداع »

ثم يلج الوجد فيوشى جنبات الأفق ويصبح الفتى المازنى « مثلا شروداً فى الهوى ... »

وبعد ، فحالات أستاذنا المازنى كلها حسنة مشرقة إشراق الابتسامة العذبة ، ولكن أحسنها عند إخوان الصفا هى هذه الصفحة العطرة التى تندى شبابا وصبابة ، فاذا أراد أن يعفى على أثرها ولو بالسيف ، فليعلم أننا نجتليها ولو من بين الغمام لامعة وهاجة ؛ وإننا وإن دوى فى الآفاق صوته المرنان يسمع الصم ، نرجو منه أن يعلم أن هذا الصوت الداوى الآن — بشأن الحب المرأة — يتسرب من بين الطبقات ويصلنا ناعماً ليناً ويقف على أبواب القلوب

وإن هذا الحب الذى أصاب منه « شبعه » كان غذاء الوحيد فكان يئن ويحن وينشد :

غذائى الحب يا من فيه حرمان منى له أبداً ما عشت نشدان
وهل غذائى إلا أن أراك وأن يمر بالسمع لفظ منك فتان
ما لذة القلب خلوا من دخيل هوى ما الليل إن لم يكن بالصبح إيقان
مالى بغير الهوى فى العيش من أرب ولا بقلبى أحقاد وأضغان

من « مناجاة هاجر »

والشعر . . . — لقد نسيت — الشعر الذى قلت عنه إنه يلبس الحب أستاراً تبعده عن الحقيقة . . . ومن يعلم ؟ فلعله يؤدى رسالة الشعر ، ويحسن صنعاً خوفا من ألا يكون وراء الأستار شيء من الحقيقة — كما تقول الأساطير —

نعم أنت كنت تقول فى الماضى :

أما يرى غايتى فى الشعر واحدة وإن تباين أوزان وأوزان
فما أحوك على الأيام قافية ألا وفيها على حبيه عنوان

وما قيمة الشعر إذا لم تردده شفتان مرتجفتان أو . . . . لم تله به قدمان صغيرتان

ولكننى أخشى ...وهنا أضع يدى على قلبى . . . . أخشى أن يكون كلامك عن الحب والمرأة نتيجة استبداد بك . . . وممن ؟ ... من امرأة ؛ فتدينك بقولك :

وإننى عاشق كتوم يبطن غير الذى يقول

(القدس) أبو سلمى

التاريخ في سير أبطاله

٢ - ميرابو

ميرابو ... تلك الأعجوبة !
جوته

للأستاذ محمود الخفيف

وكان الملك قد أخذ بنصيحة نكر حين اشتدت الضائقة المالية فأجاب الشعب إلى دعوة مجلس طبقات الأمة إلى الاجتماع وهو مجلس قديم شهدت فرنسا آخر اجتماع له عام ١٦١٤ ، وقد حدد لاجتماعه اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٧٨٩ ، وكان الغرض من اجتماعه ، مشاورة نواب البلاد في مخرج من الأزمة المالية

ولكن هل كانت الضائقة المالية كل ما يشكو منه الشعب ؟ كلا ؛ إن فرنسا إذا أردنا الواقع كانت على أبواب عصر جديد ، بل إن تاريخ العالم كان في مستهل فصل جديد ! فما كانت الثورة مهما اختلفت مظاهرها إلا أوبة الشعب من غمر القرون أو من مجاهل النسيان ، كانت حركة لا محيص عنها ، حركة أدى اليها تطور الزمن على وجه معين بحيث لم تكن الأيام لتلد غيرها

ها هو ذا الأفق الباسم تنشق جوانبه عن جبين الصباح بعد ليل طال واشتدت حلكته ، ولكن ما تلك الخطوط الحمراء التي يراها ميرابو ويوجس في نفسه خيفة منها ؟ ! إنه يرى فيها نذير الشر والفزع الأكبر . ياله من رجل عجيب ! إنه يتشاءم والقوم متفائلون ؛ إنه يرى ما لا يرون ، ولكن لينتظر ما تأتي به الأيام !

الشعب مبتهج يبسم له الأمل ابتسام الربيع من حوله ، أنظر اليه غداة افتتاح المجلس في طريق نوابه تكاد تنشق حناجره وتدمى أكفه من كثرة ما يهتف وما يصفق . يالله ! ما له يطرق في وجوم كلما مر به أحد السادة من النبلاء أو القساوسة ؟ هل آن لتلك الجموع أن تفرض سلطانها وتجبر القوم على الاعتراف بها ؟ من ذلك الرجل العابس المهيب الذي تتناقل الألسن اسمه وتتدافع الجموع لرؤيته ؟ إنه بعينه نائب اكس الكنت ميرابو !

اتخذ ميرابو كرسيه وسط العامة ، وقد تهامس الأشراف عند دخوله المجلس وتخاطبوا بالأحداق ، على أنه كان يزدريهم أكثر مما يزدرونه ، ويمقت في أشخاصهم العهد القديم ونظمه وتقاليده

ودخل الملك القاعة في حاشيته التي تتجلى فيها ترفع الملكية واستكبارها ، وألقى على النواب خطابا ارتاحوا إلى ما جاء فيه من أماني ، وهتفوا لما تضمنه من عبارات العطف ، ثم قام نكر فأكد رؤوس سامعيه بخطاب طويل نصفه أرقام !

تبع الأشراف والقساوسة الملك الى خارج القاعة وبقي العامة في أماكنهم وبينهم ميرابو يشيع الملك ووزيره بنظرات المقت والسخط . ولقد رأى النواب في ملامح وجهه أمارات الغضب ، وفسرها الأشراف بأنها مظاهر الحقد الدفين والغل الشخصي

ولكن ميرابو أصبح اليوم غيره بالأمس فلقد ودع حياة السفه والتمرد ، وأصبح السياسي الرزن المهيب الجانب ، الذي يتوقف مصير الحوادث على ما يصدر عنه من قول أو فعل

إنه لا يطمئن الى المستقبل ويرى الأمور تنذر بالكارثة ما لم تعالج بالحكمة . ولقد درس نفسية الشعب خارج المجلس وعرف أن له أطماعا لابد من تحقيقها . لم يكن الناس ليرضوا أن تؤخذ الأصوات في المجلس باعتبار الطبقة فيفوز الممتازون ، ولا يكون لمساواة العامة إياهم في العدد أية قيمة . وكان الشعب ونواب الشعب يلحون في أن يكون التصويت باعتبار الرؤوس . كذلك كان الشعب يطمع أن يكون للمجلس مكان مستديم في النظام الحكومي ، ويكون لما يصدر من آراء أثر في سياسة الدولة . وكان ميرابو يسعى جهده في أن تعلن الحكومة موافقتها على ذلك في أولى جلساته خشية أن ترغم على ذلك فيما بعد فيؤثر ذلك أسوأ الأثر في مجرى الحوادث ، ولكن الحكومة أغفلت الأمر ، فكان محقاً في حنقه وتبرمه

كان يفطن ميرابو أكثر مما يفطن غيره الى انبعاث الشعب واحتضار الملكية . وكان يرى الملكية وقد أثقلتها تقاليد الماضي تكاد تسقط من الأعياء ، حتى لقد قيل عن لويس السادس عشر إنه ورث عن آبائه الثورة والعرش معاً ! ولقد كان هذا الملك المسكين يهرول تارة ليدرك الزمن فتنقطع به الأسباب ، ثم يكافح الأيام ضد طباعها حيناً فتسخر منه الأيام ! وكان ميرابو يرى بنافذ

بصره أن سلامة الملكية وسلامة الوطن كلتاهما تتوقف على التوفيق بين الملك والشعب ، ولا سبيل لنجاح الثورة غير هذا السبيل

أرسل الى نكر يقول له : « صدقنى أيها الوزير أن مصير الملكية فى فرنسا متوقف على ما سيكون من أمر هذا المجلس ، وخير لك ولهذا البلد المسكين أن تواجه المجلس بما يحقق أمانى الشعب »

ولقد أعد ملتمسا ليتقدم به الى الملك فى الجلسة الأولى ؛ ويقال إن الملك بادر الى الخروج عقب انتهاء الاجتماع لما علم من عزم ميرابو . ومما جاء فى هذا الملتمس : « أصغ إلى ما أرك أيها الأمير المعظم إجابة الشعب الى رغبته يبق الصولجان فى يدك ، فانى أخشى إن رفضت أن يشهر فى وجهك . »

يالهذا الرجل من بطل ! كيف ينقلب سلوكه هذا الانقلاب المدهش ؟ إن المرء ليلمس أهم ناحية من نواحى عظمته فى ذلك التحول ، وما عرف التاريخ قبله رجلا درج من مثل ماضيه فوصل الى مثل ما أتيح له من مجد وعظمة وكمال سياسى

كان منطق الحوادث يقضى بأن يرى ميرابو فى الثورة فرصة لشهواته ومرتعاً لمآربه ، فيصبح فى غمرتها الرجل الأحمق الذى يهدم ولا يعرف غير الهدم ، ويبطش ولا يستطيع أن ينهض لغير البطش . ولكنه ما عرف الهدم ، وما كان رائده سوى البناء كأحسن ما يكون البناء ! وذلك لعمرى من عجائب الأيام ! ولكنه سر العبقرية

أجل ! لقد جد الزمان فأثار جلال الموقف كامن مواهبه ، ولامس موضع العظمة من قلبه ، ورأى فى الثورة حادثاً نبه نفسه الى حقيقتها ، أو قل إنه وجدها كفؤا له كما وجد نفسه كفؤا لها

وسنرى أن جهاده منذ اليوم سيكون شاقاً مريراً ، فان من يعنيهم أمر الوطن من الوزراء ورجال الدولة من أمره فى ريبة ، لا يأمنون أن يتخذ من حرج الأمور وسيلة إلى أغراضه الخاصة كما كانوا يزعمون ، بله ما كانوا يضمرونه له من حقد وما كانوا يكنونه من حسد ، حتى المستنيرين من معارفه ومقدرى نبوغه لم يكونوا أقل من هؤلاء حذرا منه ، وكانوا فوق ذلك يترفعون فى صلف عن مدارسة رجل له مثل ذلك الماضى ! مما كان يملأ قلبه غيظاً . والملك ؟ أيستطيع أن يصل اليه وله من بطانته أسوأ حجاب ؟

وهو لا يثق فى نواب العامة ، ويخاف أن يؤدى نزقهم وجهلهم إلى الكارثة . قال يصفهم ذات يوم : « أكثر من خمسمائة عضو لا يعرف الرجل منهم جاره ! أتوا من جميع أنحاء المملكة ، لا يجمعهم نظام ، ولا يلم شعثهم زعيم ، ولن تجد بينهم ذا نفوذ ، أو تتبين فيهم من يأخذ نفسه بأى ميثاق من مواثيق الطاعة ، وكلهم ميال إلى أن يُصغَى اليه قبل أن يصغى هو الى أحد . . . »

أرأيت موقفاً أشد من هذا الموقف حرجاً ؟ ولكن هل كان حرج الموقف يعمى بصيرته عن سبيل الرشاد ، أو يدفع السأم إلى قلبه ؟ كلا فما خلق مثله إلا للشدائد ، وما يظهر جلده أكثر ما يظهر إلا فى الملمات . وهل كانت تستطيع السفينة أن تسير بلا ربان فى مثل تلك الأنواء ؟ ومَن ربانها إن لم يكن هو ربانها ؟ لم تمض أيام حتى صار بين نواب العامة المقدم عليهم ، يستقيمون على ما يرسم من طريقة وإن لم يعلنوا زعامته لهم ، ويتجهون بأنظارهم اليه إن سدت فى وجوههم المسالك وإن لم يظهروا له ما هو جدير به من عطف ومحبة ، ولكنه كما خيل ، لم يكن ليصده عن مصلحة وطنه ما ينال شخصه من إهانة ، وفى ذلك من سر عظمة الرجل ما هو جدير بالاعجاب

وكان إلى جانبه الأب سييس ، ينقل إلى نواب العامة ما يوحيه اليه ، وكان هذا الرجل قد آثر صفهم على صفوف الأشراف كما فعل ميرابو من قبل ؛ وكان لشخصه فى قلوبهم مكانة قوامها الحب ، إن لم يكن قوامها الاعجاب

أخذ الأشراف ورجال الدين يجتمعون كل طائفة فى حجرتها ، وعولوا على أن يكون اقرار المسائل باعتبار الطبقة ؛ ولو طاوعهم العامة إلى ذلك لكان للثورة اليوم سيرة غير سيرتها . ولكن أنى للعامة أن يقروا على أنفسهم عملا يطوى بهم القرون إلى الوراء ، وهم يتعجلون الزمن ، ويودون لو يسبقونه إلى تحقيق الأمل الوليد ؟ على أنهم ما كانوا يريدون بملكهم الطيب شراً حتى ذلك اليوم ، ولكن شطط رجال البلاط وسوء تدبيرهم سيجعل من هذا المجلس هيئة تقلب نظام الحكم فى فرنسا ، بل وتدفع تاريخ البشر الى طريق جديد

وما كان ميرابو ليرضى أن يطيع أصحاب الامتياز الى

غرضهم الشائن وإن كان يخشى أن يؤدى احراج العامة واعناتهم إلى التذمر فالهجوم ، فيتدخل الملك وهو لا يريد أن يتدخل الملك إلا بما يرضى الشعب ؛ هو لا يحب أن تبغى إحدى القوتين على الأخرى ، ولذلك فهو يسعى ويواصل السعى ، ويدعو ويكرر الدعوة الى الأناة ، حتى يصيح له من صفوف العامة رجل رشيد لم يكن سوى سيس ، وسرعان ما يأخذ العامة بنصيحته على لسان سيس ، فيقفون من الأشراف موقفاً حكيما هو انتهاج السياسة السلبية ، فيأبون أن ينتخبوا لهم هيئة داخلية تشعر بقبول انعزال مجلسهم ، كما يرفضون أن يتسلموا الرسائل الموجهة اليهم باسم رجال الطبقة الثالثة

كان يرجو ميرابو أن يخرج العامة من المأزق دون شحناء ولا اعتداء ، ولكن العامة انتظروا حتى ملوا الانتظار ، فاقترح عليهم قرب نهاية مايو أن يرسلوا الى رجال الدين ، وقد أنس فى فئة منهم العطف على العامة ، يدعونهم باسم الله وباسم الانسانية والسلام أن ينضموا اليهم

وفى اليوم العاشر من يونيو اقترح سيس ارسال دعوة نهائية الى رجال الطبقتين يطلبون انضمامهم الى صفوف العامة ؛ وسواء قبلوا الدعوة أو لم يقبلوها يجتمع نواب العامة وحدهم للعمل باسم الشعب الفرنسى كله . وأخيراً حين رفض رجال الطبقتين دعوة العامة أعلنوا فى اليوم السابع عشر من يونية قرارهم الخطير أنهم هم « الجمعية الأهلية » فخطوا بذلك أول خطوة نحو الثورة

أشفق ميرابو وقد فهم مغزى هذا القرار على الجمعية وأيقن أن الملك لا بد مجيب على ذلك بضربة حاسمة ، إذ ما الذى يمنعه أن يباغتهم بمرسوم يحل به المجلس كله ؟ ولذلك فقد احتاط للأمر وتوقى الخطر قبل حدوثه . فتقدم إلى الجمعية باقتراح قبلته وأعلنته ، ومؤداه أن نواب الأمة يقررون أن الضرائب القائمة غير شرعية ، ولكنهم لا يمانعون فى جمعها ما دامت الجمعية منعقدة ؛ وكانت هذه خطوة سديدة موفقة من جانب ميرابو

على أنه ظل يحسب للموقف حسابه . فما كان الاشراف ورجال البلاط ليقابلوا عمل الجمعية بالسكون ، وكان ميرابو قد واجه ثورة النواب فى نقاشهم قبل أن يطلقوا على جمعيتهم ذلك الاسم ، وطلب اليهم أن يبحثوا عن اسم آخر لا يتضمن مثل ذلك التحدى ، ولكنهم أعرضوا عنه فلم يجبن عن أن يعلن فيهم « أن نفوذ الملك وحقه فى (الفيتو) لا بد أن يكون أمراً أساسياً فى الدستور ، وبغير ذلك فانه يفضل أن يقيم بالقسطنطينية على أن يعيش فى فرنسا ، لأنه لا يرى أخطر من تسلط ستمائة رجل على شؤون الدولة »

ولقد ذاعت الاشاعات يومئذ أن ميرابو أخذ من الملك مبلغاً طائلا ، وهكذا يأبى شؤم طالعه إلا أن يلازمه فيرمى بالخيانة منذ ذلك التاريخ الباكر

اعتزم الملك نقض قرارات الجمعية ، وعول على الذهاب بنفسه اليها ، وحدد لذلك اليوم الثالث والعشرين من يونيه ، وفى صباح اليوم العشرين من ذلك الشهر حين لم يستطع نواب الشعب الاجتماع فى دار الجمعية بحجة إعدادها لدخول الملك فقد توجهوا إلى ملعب التنس المجاور لها ؛ وهناك وقد أخذ الحماس من قلوبهم كل مأخذ أقسموا أنهم لن ينفضوا حتى يضعوا للأمة دستوراً ، فكان هذا أحد أيام فرنسا المشهورة

ما للسفينة حيلى تسخر بالأنواء وتستخف بما يحيط بها من موج كالجبال ؟ أدر الدفة يا ربانها ليس لها غيرك يوجهها إلى شاطىء السلامة !

دخل الملك فى اليوم الموعود ، وقد تكلف أكثر ما يطيق من الجد والحزم ، وأعلن نقض قرارات ١٧ يونية ، وأمر أن تجلس كل طبقة على انفراد ليكون صدور الأصوات بالمجالس لا بالرؤوس ، وعلى الجميع أن يصدعوا بما يؤمرون وإلا فانه « سيعمل ما تقتضيه مصلحة البلاد معتبراً نفسه نائبها الوحيد »

طرب الأشراف ومن يشايعونهم من رجال الدين لذلك الوعيد ، وقاموا إلى مجلسهم بعد مبارحة الملك القاعة ، وبقى نواب العامة فى مكانهم جامدين . أخذتهم الحيرة فلا يدرون ماذا يفعلون ، واستولى الرعب على أفئدتهم ، فعلى وجوههم صفرة كئيبة ، وفى عيونهم دهشة ومسكنة ، ولكن ميرابو لم يخلق الفزع لمثله ، فوثب من مكانه وفى عينيه الواسعتين نظرات الليث ، وراح يزأر فيهم مذكراً إياهم بقسمهم . فأعاد إلى قلوبهم الحية ، ثم دار بعينيه فاذا كبير الأمناء يسأل النواب فى صلف : « ألم يسمعوا أمر الملك ؟ » وفى تلك اللحظة الرهيبة التى ولدت للعالم عصراً جديداً يأبى القدر إلا أن يجعل من ميرابو ترجمانه ، فيصرخ فى رسول الملك قائلاً : « نعم أيها السيد ! سمعنا ما أوعز إلى الملك

بالقائه علينا ، ولست أنت ، ولم يكن لك من مركز أو حق يبيح لك الكلام في هذا المجلس . نعم لست أنت الذي يذكرنا به . إذهب فقل لمرسليك إننا هنا بإرادة الشعب ، فلن نبرح مكاننا إلا على أسنة الحراب »

وتصايح النواب قائلين : « هذه إرادة الشعب » . « الشعب لا يتلقى أوامر من أحد » ، وقام سيس يذكرهم أنهم اليوم ما كانوا بالأمس ؛ ولم يخن ميرابو حضور ذهنه وسط تلك الحماسة ، فأعلنت الجمعية اقتراحه بأن رجالها منذ اليوم في حصانة ، وأن المعتدى عليهم جريمة كبرى !

أرأيت كيف هيأت بسالة ذلك الرجل له موقفاً أصبح فيه بحيث يتوقف مصير الحوادث على ما يفعل أو يقول ؟ وسرعان ما تجاوبت أنحاء فرنسا أنباء ذلك الرد التاريخي ، وجرى اسم ميرابو على كل لسان في باريس وطبع شخصه في كل قلب

من ذلك اليوم أصبح ميرابو زعيم الشعب غير مدافع ، وان تم له ذلك فملازمن قبل ، واذا كانت الحوادث تخلق الرجال كما يقولون ، فمن الرجال من يخلق التاريخ . وما تاريخ البشرية اذا أردت اليقين إلا تاريخ عظمائها . ولقد كان ميرابو من هؤلاء النفر الذين يربون جيلا ليلدوا غيره ! واني لأجرؤ فأزعم أنه عندي أول زعيم شعبي بالمعنى الحديث . إذ كان التاريخ يومئذ ينتقل من فصل إلى فصل كما رأينا

وكان انتقاله هذه المرة على أساس جديد ، على أساس شعور الفرد بوجوده في شكل ديمقراطي لم ير العالم نظيره منذ ديموقراطية أثينا . أجل ، لقد جاءت الأنباء من وراء المحيط بانتصار الحرية على يد بطل من أهم أبطالها هو واشنطن ؛ ولكن الفرق بين الحركتين كالفرق بين الرجلين ؛ فتلك حركة سياسية في شعب يخوض غمار الحرب إلى حقه الذي اغتصبه الأجانب من أعدائه ، وهذه حركة اجتماعية كانت أول أمرها سلمية في شعب يستخلص حقه من ساداته وكبرائه ؛ وذلك رجل يشهر السيف ويصل إلى غرضه بالحديد والدم ، وهذا رجل لا يعرف إلا القلم ولا يرى سوى المنبر طريقاً إلى غرضه !

(البقية في العدد القادم) **الخفيف**

تلخيص كتاب :

الحاكمون بأمرهم

LES DICTATEURS

تأليف جاك بانفيل

بمناسبة وفاته في ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

للأستاذ عبد الحليم الجندي المحامي

تتمة

طاف بنا بانفيل في النصف الأول من كتابه بطغاة التاريخ ليقدم إلينا طغاة العصر الحاضر ؛ فنحن الآن في روسيا القيصرية حيث الشعب يجزى قياصرته الارهاق الفظيع بالارهاب الأفظع ؛ وإن تعجب فاعجب لهذا القدر الساخر الذي جعل من أكبر القياصر حبًّا للشعب أكبر صرعى الارهاب وهو القيصر « نقولا الثاني » [1] . . نشطت الشرطة في أعقاب ذلك المصرع ولكن نشاطها كان متجها نحو (الانفار) لا نحو القادة ، فنجا من طغيانها دعاة جهنميو « كفالدمير أوليانوف » أولئك الذين جعلوا شعارهم « كل شيء ، أو لا شيء »

نفى الفتى — بل الأستاذ — فالدمير سنتين في سيبريا ، وفي سنة ١٨٩٦ ألف جمعية الكفاح ، وفي سنة ١٩٠٣ افتتح مؤتمر بروكسل للعمال ، وعقب ذلك أنشأ في لندرا حزب العمال الروس الديمقراطي

وفي سنة ١٩٠٥ اندلع لهيب الحرب بين اليابان وروسيا فكانت فرصة نادرة ، فمشى إلى قصر الشتاء مائتا ألف من العمال يحدوهم قسيس ليقدموا إلى سدة القصر ملتمسات متواضعة ، فقابلتهم المدفعية بالنار على عتباته ، وكأن أركان الامبراطورية الأربعة كانت في الانتظار ، إذ شجرت القلاقل في كل ناحية وذُبح الغراندوق سرج ، وساد الاضراب في أرمينيا وبولنيا وسيبستبول ؛ وعبر فالدمير — لينين — الحدود ليختبئ في موسكو ، والبؤلف

(١) راجع مذكرات بالبولوج سفير فرنسا السابق فهي من أروع ما كتب عن هذا القيصر العظيم وعن مصرعه

جيش الثورة الذى قاوم الحكومة تسعة أيام ثم انهزم ، ففر لينين وراء الحدود ليكون الحزب البلشفى فى سنة ١٩١٢ وليرقب الفرصة المتاحة

ومضت سنوات سبع كان على لينين فى منفاه أو فى مهربه أن يدبِّر فيها للثورة تدبير الأستاذ الخبير ، فلقد كان يقول : « إن الثورة فن »

وفى سنة ١٩١٤ عنـد ما ارتفع بخار الدماء فى سماء الدنيا هدأت أعصاب لينين ! وأخذ يتحرك ، فأهاب بالعمال فى العالم أجمع أن يُلقوا السلاح ليتخلصوا من الطواغيت إلى الأبد ، وليجعلوا من رأس المال أسطورة تُحكى للناس ، أزيلت من عالم الواقع الحاضر ، وجاءت الظروف تضع الأحجار فى بنيان هذا الطاغية — والمصادفة دائماً فى خدمة الدكتاتوريات — إذ سرت الرعدة فى كيان الامبراطورية الذى شاخ ؛ فالحرب بدت مجزرة فاشلة ، والفيالق أخذت تتذمر فقامت قيامة العمال فى ٨ مارس سنة ١٩١٧ ، وفى ١٠٠ ساعة فقط هوى عن العرش آخر أبناء رومانوف

وتطلعت الثورة تريد رأس حكيم يحركها . . وتطلع لينين إلى الألمان فنقلوه إلى روسيا فى قطار مسلح فى حاشية من ثلاثين هداماً من زملائه ، ووصل الركب إلى روسيا ، وأخذ لينين يناضل الحكومة المؤقتة لتكف عن مواصلة القتال فى الحرب الكبرى ، فوجهت إليه تهمة الخيانة العظمى وأوشكت أن تظفر به ، ففرّ من جديد ليعود بعد شهور ومعه « الفنان الأكبر » فنان الثورات (تروتسكى) (١)

وضع الفنان الأكبر خطةً هى آية الفن الثورى الحديث ؛ فعمد إلى المصالح الميكانيكية ، وهى التلغراف والتلفون والبريد والكهرباء والسكة الحديد ؛ وعهد فى الاستيلاء عليها إلى فئة قليلة من المحاربين فى زى عمال ، وأمّر عليهم طائفة من المهندسين المهرة ، فلم يمض يومان حتى كانت هذه السواعد الفتية قد وصلت إلى نتائج باهرة برغم قلة عددها ، إذ كان اتحاد الغاية مع تشعب الأهداف الأولية سبباً فى عجز الجيش وضعف حيلة الحكومة عن مواجهة المخربين ، وهكذا استطاع « تروتسكى » أن يعزل العاصمة عن الامبراطورية ، ثم استطاع أن يصدر الأوامر إلى أنحاء الأرض النائية ؛ وبعد مناورات هندسية أخرى سار بفيلق صغير صوب القصر وسلط عليه شواظاً من جهنم ترسله مدافع الطراد (أوردرا) فتفتحت الأبواب للطارق الفظيع ودعا إليه « لينين » ! . . واستسلمت روسيا إلى الشيطان ، ودان له النواب فى مجلس « الدوما »

وابتدأ لينين يحكم باسم الحق والعمال ، ففرغ من الألمان بالمعاهدة ، وتفرغ إلى روسيا بالحديد والنار ليفرض عليها أفظع طغيان يرتمد من هوله التاريخ ، ويتضاءل أمامه « نيرون » وألف نيرون !

ثم عجزت نظمه جميعاً وقامت جورجيا تطلب استقلالها فسار إليها « تروتسكى » فى جحفل أغبر ليمسح حركتها من الوجود ؛ وبدا لعين الطاغية الأعظم فشل مشاريعه وأخذ يقول : « لقد هدمنا أكثر مما نستطيع بناءه » وأخيراً أصابه الشلل وشب إلى جانبيه طاغية جديد هو ستالين

ومات لينين وخلفه ستالين ، فاستهل حكمه البلشفى أبرع استهلال ، إذ طوح بتروتسكى إلى أقصى الأرض لينُبذ من دولة إلى دولة كأنه الطاعون ؛ وليكتب فى الصحف كل يوم ليعيش . . « وهكذا — مثل ساترن — تأكل الثورات بنيها » واخترع ستالين نظام السنين الخمس ، وطنطنت له الاذاعات والاعلانات فى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم خفت الصوت وسكنت العاصفة لما مُنى به المشروع من إخفاق

أما الشعب فما يزال جائعاً كما كان قبل الثورة ؛ وأما الأمية فما تزال — على الرغم من الاحصاءات الرسمية — متفشية ؛ وأما الانتاج والرغبة فيه ، وأما الرواج والحضارة ، وأما الشعراء المستقلون والكتاب ، فكل أولئك ومعهم خمسة ملايين من الناس نفُوا من روسيا فى الجزر الروسية أو فى سائر أرجاء الكوكب المعمور

ولابد أن يرتفع هذا الكابوس عن روسيا إذا مات طاغيتها الجاثم على صدرها فهو نظام لم يبدأ من الشعب ولن ينتهى اليه

***

بعد ذلك يبهرك « بانفيل » بوثبة بديعة من وثبات السحر البلاغى تخلبك طلاوتها لأنها تنقلك كسائح فى الجنـة إلى قطر إسلامى شقيق فاذا بك أمام براعة منتشية كلها إعجاب ، وإذا بك بين يدى « أتاتورك » العظيم . .

يقدم المؤلف تركيا الجديدة بكلمة لأحد مندوبيها فى مؤتمر

(١) راجع فى وصف ذلك چان چا كوبى

لوزان موجهة إلى أعضاء المؤتمر: «لماذا تريدون معاملتنا كالمتوحشين؟ إننا جميعاً في هذا الوفد نحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس!» وأنت تكاد تلمس من العبارة أية جماعة تأخذ بيد مصطفى كمال وتعاونه، وأية أفكار جديدة تنشرها هذه القوى الناهضة، دون قعقعة أو جلبة على طرائق موسوليني وهتلر وستالين، ففي مصطفى كمال كثير جداً من «واشنطن» وفيه أيضاً من «جنكيز خان»

ولد في سنة ١٨٨٠ وتعلم بالمدارس الحديثة وتلقى العلوم الحربية وصار «كابتن» في سنة ١٩٠٤، وفي سنة ١٩١٢ اتهم في مؤامرة على السلطان، ثم عمل في جيش القوقاز وفي الجزيرة أيام الحرب الكبرى

وعند ما هادنت تركيا الحلفاء وأراد الباب العالي أن يبيع الأتراك لانجلترا رفض كمال تسريح قواته، ووقف في وجه الحكومة ونازل اليونان فقذف بهم وبالأنجليز من ورائهم إلى أعماق البحر الأبيض المتوسط؛ ثم سحق الثورة الكردية وعقد معاهدة لوزان، وأنشأ المجلس الوطني الكبير، وألغى الخلافة، وصار الغازي رئيساً للجمهورية

ونفخ في الصور ليبعث الأتراك من جديد!

وألغى الطربوش لتُلبس القبعة؛ وطاف مصطفى كمال في البلاد يهيب بها أن تستجيب لندائه؛ ورُفع الحجاب ووضع القانون المدني، وصار الزواج مدنياً بعد أن كان دينياً، وأدخلت الحروف اللاتينية في الأبجدية التركية

وهكذا جعل الغازي من أمته التي كانت مضرب المثل في الجمود، شعباً يستسيغ الاصلاحات الطافرة، ولو جاءته في سرعة الأفلام ...!!

وبعد أن قضى على الحاضر المضارع التفت إلى الماضي ليستخدم العلم والتاريخ في مجد أمته؛ وليس فخرها في «عثمانيتها» بل فخرها في أنها «تركية»، ولم يعدم البحاث والمنقبون عن الآثار في الأناضول معالم ومشاهد وآثاراً تثبت قدم الأتراك وآبائهم «الحيثين»؛ ثم اتجه الرجل العظيم إلى تطهير اللغة التركية من الغريب، وعمل رجاله في ذلك أعمال الجبابرة، لكأنهم يخلقون الناس معهم من تاريخ نهضتهم فحسب! فمنذ عامين فقط شيعت الجموع شاعراً قومياً، ومشى الشباب وراء جثمانه وهم لا يفهمون

شعره كما كان يجب، لأن لغته أصبحت لغة قديمة ... !! ولذلك نفدت المعاجم الجديدة أول ما عرضت في الأسواق

يُعطيك هذا العمل الأخير خير فكرة عن قوة اتجاه هذا الدكتاتور نحو الانشاء؛ حقاً إن التركي باقٍ هذه الهزات التي يهتز لها كل كيانه بعلامات استفهام وعلامات تعجب، لكنها ستجره معها يوماً على كل حال

يقولون إنه يعيش كأبطال الأساطير بين اللهو والقصف، ولربما بدا وجهه للناس بعد عشرين عاماً كوجه سلطان من السلاطين، لكن الذي لا مراء فيه أنه قدم الدليل الناهض على مقدار ما يحقق الرجل القادر للشعب القادر من رغبات في الانتصار وفي التقدم

ثم يقول المؤلف — فهذه غايته من مؤلفه — «وإنا لا نحسب أن الشعب الفرنسي يُسيغ هذه الطرائق، فالثورة الكبرى نفسها لم تستطع أن تقسره على أن يقبل حتى الأسماء الجديدة لشهور السنة! مع ما في هذه الأسماء من الملاءمة والاتساق !!»

***

والآن إلى قيصر!

لا قيصر الكرنفال، ولكن عبقرية أمةٍ زاخرة بالكفايات حافلةٍ بالمواهب ما أسرعها في الاستجابة إلى حاجات الساعة وضرورات السياسة تستعرض الماضي من مفاخرها لترفع على القوى منها عمد المستقبل المجيد

وليفهم القارىء الفاشستية يجب أن يرتد ببصره إلى سنة ١٩١٥ عند ما ساقت إيطاليا جيوشها إلى الساحة إثر نزاع بين المحايدين من أتباع «جيوليتي» والمتدخلين من أشياع «دانونزيو»، فلما انعقد لواء الظفر للحلفاء حسب الساسة من رجال المدرسة القديمة أن الأمور ستجري رتيبة، وستعود سيرتها الأولى دون أن يحسبوا للتيارات الجديدة حسابا

نشأ موسوليني لأبٍ يطرق الحديد، علمه شديد القوى؛ ثم صار معلماً، ولكن ثوريا، فطردته ثوريته من وظيفته وهاجر إلى سويسرا فلم تطب لها ضيافته، ثم عاد إلى إيطاليا ليؤدي الخدمة العسكرية، ثم ارتد يضرب في الآفاق من جديد ليتتلمذ على «سيزار باتستي» في النمسا، وهنالك عثر على الكنز المفقود؛ فلقد كان «باتستي» فيلسوفا وداعيةً وطنيا من أكبر الغلاة حتى امتلأ ذهن تلميذه بجمهرة من أفكاره الوطنية امتزجت باشتراكيته

قصيرته رجلاً من طراز خاص . ولما ولاه أستاذه تحرير جريدة « بوبولو » لم يكن يكتب ، ولكنه كان يحارب ، ولم تكن جمله عبارات وإنما كلمات من لحم ودم ؛ لذلك ألزمه البوليس بترك النمسا فتركها إلى سويسرا لينشئ الجمعيات ويدبر ثورة للعمال الطليان

وفى سنة ١٩١٤ حسب الفرصة أتيحت له عندما قتل ثلاثة من العمال ، وانتشر الاضراب وأعقبته القلاقل ، ولكن الفشل كان من نصيبه ، حتى إذا أعلنت الحرب الكبرى وانقسم الرأى العام جرد موسولينى قلمه ليحارب ، ودخلت إيطاليا الحرب . وفى ٢٢ مايو سنة ١٩١٥ يوم تجريد الحملة عبر موسولينى عن رسالته فى كلمة بليغة قال : « . . لقد تحملنا من الخسائر ما تحملنا فى السنوات الفارطة . وها قد دنت ساعة الخلاص : فلنفتتح إيطاليا لنفسها عهداً جديداً فى العالم ، ولتنل قسطها من السيادة فى الأرض »

واشترك موسولينى فى الحرب ورجع بأربع وعشرين رصاصة فى جسده ؛ وفى سنة ١٩١٧ ألقى الطليان سلاحهم وعادت الجيوش مهزومة ساخطة ، وضربت الأزمة الاقتصادية بجرانها على كل الطبقات ، ولاحت فى الأفق معالم الشيوعية الحمراء ، وشرعت موسكو تبعث رسلها وأموالها إلى إيطاليا ، وابتدأت القلاقل والمجازر فى كل المدن الايطالية على مسمع من الحكومة

ولما وجد موسولينى أن رجال الحكومة خروا صما وعمياناً أمام هذا الطوفان ، هب ليلقاه بجسمه وبصحيفته ، وبحزب جديد ؛ فلم تمض شهور ستة حتى كان له من الأتباع خمسة وعشرون ألفا

وفى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ أعلن الشيوعيون الاضراب العام وفرض القوم سلطانهم فى كل مكان بمذابح مروعة ، يقشعر من هولها الانسان ، والحكومة لا تتحرك ، وكأن الأقاليم لا تُسمع روما صرخاتها الموجعة ! ثم أخذ العمال المهندسين رهائن فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، واحتلوا المعامل ، وأطلقوا الرصاص على الجيش ونهبوا مخازن السلاح ... وهوت العملة ، ولم يبق للنقد سعر ، وتساءل الناس : « إلى أى طريق نحن مسوقون ؟ »

كل ذلك والحكومة كأنها ليست فى روما ولا فى أى مكان . عندئذ نظم موسولينى رجاله ليحاربوا الثوار حرب عصابات حيثما ثقفوهم ، فأعادوا الأمن ، وطمأنوا الناس ، وخفق باسمهم كل فؤاد مروع ؛ وأخذ ينضوى تحت لوائه الأب الملوع ، والأم الثكال . وفى سنة ١٩٢١ دخل الانتخابات وخرج منها ظافراً بخمسة وثلاثين نائباً ، كان يتزعمهم فى البرلمان كأمهر ما يتزعم السياسى العتيد ؛ ثم عقد مع الاشتراكيين (هدنة !) ليدبر لهم مقتلاً ... وفى أكتوبر عقد المؤتمر الفاشستى من ٢٢٠٠ شعبة تمثل ٣١٠ آلاف ، وتلا الرجل برنامجه : « السلام فى الداخل والقوة فى الخارج » فصفقت له الأمة بمجموعها

وفى سنة ١٩٢٢ كانت الحكومة تتساقط كقصور الورق ، وعجز الملك عن تأليف وزارات استقرار ، وكان الرعب الشيوعى يتفاقم ، فلم يتردد الفاشزم عن احتلال مدائن بأسرها لتطهيرها من الطاعون الأحمر ؛ وأعلن الشيوعيون الاضراب ؛ وأعلن موسولينى تجنيد رجاله ليعملوا بدلاً من المضربين ، وأنظر الحكومة ثمانية أيام لتقضى على البغى الشيوعى ، وإلا فهو حال محلها ؛ وختم نداءه بصيحة داوية : « يا رجال الفاشست ... إن إيطاليا لنا »

وفى ثمانية أيام عاد دولاب الأعمال إلى الانتظام ، فكتب موسولينى إلى رئيس الحكومة يقول : « إن الأمة تعبت من هؤلاء الحكام الذين يترددون بين الدناءة والاهمال » فأجابه بدعوته إلى الاضطلاع معه بأعباء الحكم ، فرفض إلا أن يعطى هو الوزارات الهامة ؛ وختم رفضه قائلاً : « إن لديه من القوة ما يكفى لينال دست الأحكام » وأعلن الزحف على روما ... وزحف الفتيان على روما فعلاً ؛ وطلب الوزير من الملك أن يعلن حالة الحصار ، فرفض جلالته ، لأنه كان يعلم ما هى الفاشزم ، ولأنه عهد بالوزارة فى الغد إلى موسولينى

كان بعد ذلك ما كان مما يعلمه الكافة من بعث إيطاليا كرة أخرى لتضارع أكبر دولات التاريخ . وبعد ثلاثة عشر عاما من جهود فوق جهود البشر فى كل مرافق الدولة ، غدت إيطاليا أمة تعرف الدنيا كلها مقدارها

ويختتم المؤلف بتحية الدكتاتور البارع داعياً له الله أن يقيه رد الفعل الذى يصيب الكثيرين من رجال الثورات . ثم يقول ناصحاً أمته على عادته فى ختام حديث كل جبار — « فليحذر المقلدون من الفرنسيين ، ولا يحسبوا أن هذه الأساليب مأمونة عواقبها فى فرنسا ؛ والانتاج الطائفى الذى يقوم عليه نظام

موسوليني لا يمكن أن يطيقه فرنسي واحد ؛ وقبل أن ننسخ صورة طبق الأصل يجب أن نفهم ماذا ننسخ »

* * *

وهذه شبه جزيرة الأندلس : نشأت فيها دكتاتورية مخففة على يد بريمو دريفرا في أسبانيا ، لأنها لم تخلق غذاء للرأي العام ، ولأن رجالها لم تكن له فكرة محدودة يتبعها ، كما نشأت فيها دكتاتورية من أبدع الدكتاتوريات في البرتغال على يد الأستاذ سالازار . . . ترك الأستاذ سالازار كرسيه في الجامعة بعد أن هتف به الرأي العام لانقاذ الجمهورية إثر رفض شروط القرض التي شرطتها عليها عصبة الأمم ، فوضع الأستاذ شروطه قال : « ... وليمنحني الشعب ثقة ليس لها حدود ، وله ألا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولكن عليه الطاعة عند ما آمر . . . »

وهنا يُعنى المؤلف باظهار مدى تأثير ثقافة المؤلفين الفرنسيين في الساسة المعاصرين ، فينوه بآثار صديقه (شارل موراس) الذي اتهم بتدبير الاعتداء على « ليون بلوم » في جنازة المؤلف ! ! ثم يشرح المؤلف طريقة سالازار وهي : الدولة أولاً والديمقراطية ثانياً ، ويختتم كلامه بقوله : « يقولون عن جمهوريتنا إنها جمهورية الأساتذة ... والحق إن البرتغال هي بلا مراء جمهورية الأساتيذ » فان نظام سالازار مازال يؤتي ثمراته البديعة منذ عشر سنوات

* * *

وهذا آخر رجال الحكم المطلق « أدولف هتلر » يتصدى له المؤلف في ريبة الخصم ، ولكن في نزاهة الباحث ! فهو خطيب خارق للعادة ، وداعية في الهواء الطلق ، نشأ بناء ، ثم حارب في الحرب الكبرى ، ولما حاول الانقلاب مع لودندورف سجن شهوراً كتب فيها كتابه « كفاحي » فغدا الكتاب انجيلا للألمان ، ولو أنه كأثر من آثار الفكر لا يساوي حبة من خردلة ، ففيه كلام فارغ عن اليهودية والآرية ، وفيه كلام عن استرداد النمسا ـ من النمسا ! والألزاس واللورين من الخصم الخالد . . . فرنسا ، والتيرول من إيطاليا ؛ وفيه كلام عن الحركة الاشتراكية

وفي سنة ٩٣٢ كانت هذه الأمة التي تخلبها التشكيلات العسكرية قد انخرطت أغلبيتها في سلك « فرق الهجوم » و « أصحاب القمص السمراء » فكان هتلر يسيطر على مصائر ألمانيا ، وفي ٣٠ يناير سنة ٩٣٣ دعاه هندنبورج للوزارة فلبث غير قليل ليعمد إلى « شلايشر وزوجته » فيقتلهما ، وليطهر الحزب من « روهم » على طريقة « الجانجستر » في شيكاغو ؛ وأخذ هتلر وجيبلز يغنيان الأناشيد للشعب الألماني . وكلما خطبوا صدحت الموسيقى فانتشى الشعب من الموسيقى ومن الأغاريد وسار وراء فرسانه

وبدأت محاولة التعقيم ، وحرب الكنيسة ، وتشريد اليهود في ألوان قاتمة من التعذيب ، وبدأت وسائل الجهاد الداخلي والنشاط القومي توجهها كفايات ممتازة ... أما عن الخطة الاجتماعية فان الشك يساور الأنفس ، فهناك ملايين من العاطلين محشودة في « معسكرات العمل » لن تُوجَّه في الغد إلا إلى الميدان . . . !

أما هتلر فما يزال في طريقه

فلتصح فرنسا

* * *

وبعد « فالدكتاتورية نظام ككل النظم » ولقد تكون خير شرعة شرعت للناس ، إذا دعت اليها ظروف الساعة ؛ وقد لا تكون إذا لم تدع اليها الظروف ... وإذا كانت العمليات الجراحية بغيضة إلى نفوسنا ، فلنعمل على ألا تكون فينا جراح ، لأننا لن نستطيع عند وجودها أن نتفادى مشرط الجراح

ولا بد مما ليس منه بد

عبد الحليم الجندي

الحياة الأدبية فى بغداد

بقلم عبد الوهاب الأمين

تمهيد :

ذكرنى مقال الأستاذ « على الطنطاوى » عن الحياة الأدبية فى دمشق بحياتنا الأدبية فى بغداد ، وحبب لى العزم على دخول المضمار ، وأغرانى بالبحث عن التراث الأدبى الذى خلفته عصور الذهب وعصور الزوان لعاصمة الرشيد !

وليس جديداً عندى مثل هذا البحث فقد كنت أردده فى فرص عديدة سابقة ، ولكن صدى هذه البحوث لم يكن يبلغ الآذان ؛ أما الآن فقد رغبت أن يكون ذلك فى « الرسالة » الغراء ، وهى المجلة المقروءة فى كل قطر عربى ، رغبة منى فى إطلاع إخواننا فى بقية الأقطار على أن سوء الحال لا يمكن أن يبلغ بالأدب ما بلغه فى بغداد !

قبل عشر سنوات

لو أتيح للقارئ الكريم أن يتصفح الصحف والمجلات قبل عشر سنين لما فاته أن يلحظ فيها طيف اليقظة الأدبية وهى فى بدها ، ولرأى من كثرة ما ينشر فى الصحف حينذاك من الشعر على الأخص ، ومن بقية الفنون الأدبية ، وإن كانت بصورة بدائية ، روحاً أدبياً يبشر بمستقبل لا بأس به ، ولكان فى وسعه أن يتجوز فى تسمية تلك الحركة نهضة أدبية قد يأتى عليها زمن تصل فيه إلى النضوج فتؤتى أكلها أدباً جديداً وأدباء مبدعين !

غير أن حقيقة الواقع ليست كذلك ! فها نحن أولاء الآن قد خسرنا حتى تلك الحركة البدائية البسيطة ؛ وقد ماتت كل المحاولات التى كان القصد منها بعث الروح فى الأدب العراقى فى كل مناسبة عرضت لها بعض الذين خيل إليهم أن فى العراق تربة صالحة لمثل تلك المحاولات

وقد اشترك كاتب هذه السطور وساهم فى إنشاء بعض الصحف الأدبية فكانت تنقضى الواحدة منها تلو الأخرى ، فلما يئس وانزوى وترك العمل أخذ بعضهم يلومه ، وزاد اللوم فى بعض الأحيان حتى بلغ التعنيف ! كأن من واجب الأديب أن يستقل بالتضحية وحده ، فان أحجم أو قصر أو تردد فقد أجرم !

وقد كان سبب ذلك الهمود والموت الأدبى فى جميع الحالات واحداً لم يتغير ولم يتأثر بتطورات الزمن . فكأن هذا النبات لم يخرج من هذه الأرض ، وكأن فى طبيعة كليهما ما ينفره من الآخر

فما هى علة هذه الرجعية ؟

جناية السياسة والصحافة على الأدب

لست أقصد بالسياسة العمل السياسى ، فان ذلك خارج عن بحثى كما أنه خارج عن صلاحيتى ! وإنما أقصد أولئك الأشخاص الذين بدأوا حياتهم أدباء ثم انقلبوا سياسيين ، ومقدار ما فى هذا العمل من الجناية على الأدب ! وبعبارة أدل : أولئك الأشخاص ذوى الأطماع السياسية الذين لم تمكنهم شخصياتهم من الخوض فى غمار السياسة رأساً ، فقدموا لأطماعهم بالاشتغال فى الأدب واضعين تلك الغاية نصب أعينهم ، فلما ظهرت أسماؤهم على الأفواه تركوا الأدب وانصرفوا إلى السياسة !

هؤلاء أساؤوا إلى الأدب أولاً وإلى السياسة ثانياً .. أساؤوا إلى الأدب لأنهم لم يخصوه بنشاطهم ورغبتهم وإنما جعلوه مطية لأطماعهم ، وأساءوا إلى السياسة لأنهم جهلوا فيها هذه السابقة

ومن هنا يتبين السبب فى تلك النهضة التى حسبناها « أصلية » (Original) وما كانت فى الحقيقة إلا وسيلة بعض المرتزقين من حملة القلم ؛ ولو رجعنا إلى الأسماء التى كانت تذيل بها قصائد الصحف والمجلات قبل عشر سنين ، ومقالات ذلك العهد ومحاضراته ، لوجدناها من أضخم الأسماء وأعلاها فى عالم الوظيفة والسياسة الآن

وقد جرى ذلك على الصحف اليومية ، فان كل صحيفة صدرت فى العراق كانت فى مبدأ أمرها خالصة لوجه الأدب أو تخصه بأكبر عناية ، فأصبحت كل الصحف تقريباً لا تنشر القطعة

الأدبية أو القطعة الشعرية إلا فى الأسبوع أو الأسبوعين مرة !
وقد كانت جريدة « البلاد » — وهى كبرى جرائد العاصمة — فى أول مبدئها تخص « الأدب » بثلث صفحاتها يومياً ، وكانت تستكتب الأدباء والشعراء وتنشر لهم وتدعو لأدبهم ، وكانت وقتذاك تصدر فى ست صفحات فقط ، والآن بعد أن زيدت صفحاتها إلى الثمانى فقد تركت الأدب مرة واحدة ، ولم تعد تنشر شيئاً منه إلا فى بعض المناسبات القاهرة

وكذلك قل فى الصحف الباقية اليومية منها والأسبوعية ، فانك لن تجد فيها إلا ما هو أقرب إلى الأدب السياسى فى بعض الأحيان منه إلى الأدب الخالص

ومما يؤلم ويستفز النفس أن الصحف فى العراق لا تتكبد فى نشر الأدب شيئاً مادياً ، بل كل ما ينشر فيها تقريباً « أدب تبرع » وليس أدباً مأجوراً ، وهو بذلك أقوم وأفيد بطبيعة الحال من ذلك الأدب الذى تستنطقه المادة ، ولكن أصحاب الصحف « الأدباء » لا يكلفون أنفسهم عناء الاستكتاب ، بل قد وصل الأمر بهم إلى الاقتصار على الأخبار والأمور السياسية وإهمال الناحية الأدبية بالمرة !

وهذا ما يثبط عزم الأديب العراق ، ويفت فى عضده ويكسر من خياله وهمته ، فهو لا يخسر التشجيع والتعضيد فقط ، بل عليه أن يجتاز الصحافة اجتيازاً ، وفى ذلك ما فيه من المغامرة والخسران ، فان من البديهى أن مهمة الصحافة هى التمهيد للأدب والدعوة له وتقديمه ، لا الوقوف فى وجهه وتثبيط عمله بطريق غير مباشر !

المؤلف والناشر

أكثر ما ينشر فى بغداد بل كله كتب مدرسية غير مستكملة حتى الشروط المطلوبة فى مثل هذه الكتب ، وأكثرها مترجم ومقتطع من الكتب الغربية ، وهى تبدل حسب مناهج التعليم كل سنة ، وفى بعض الأحيان فى أقل من السنة ! ولو استثنينا بضعة كراريس فى المساجلات الأدبية كالسهام المتقابلة ، وبضعة أقاصيص ابتدائية للأستاذ محمود أحمد ، كمصير الضعفاء وما اليها ، فلن نجد كتاباً أدبياً نشر فى السنين الأخيرة غير لب الألباب للسهروردى ، والمجمل فى الأدب العربى لمحمد بهجة الأثرى ، وتاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوى !

هذا كل ما هنالك !

وفى هذا كل معانى الفقر ! وإنه ليجرح عزة هذه الأمة وكرامتها أن تفتقر هذا الافتقار من الأدب الذى هو قوام الحياة ، وإنه لأقطع دليل على أن هذه الخلائق لم تستوف ضرورات الحياة ، ولم تصل بعد إلى إدراك معانيها وتشوفها ، وأنهم — بأدبهم — يعيشون كلًّا على غيرهم !

فليس هناك إذن لا « مؤلف » ولا « ناشر » ، وإن وجد أحدهما فليس بينه وبين الثانى تفاهم ، وإن وجد كلاهما فانهما يكونان وقتئذ أقرب الى المرابين منهما الى المشتغلين بالمعنويات والخدمة العامة

والمطبعة العراقية فقيرة الى حد مزر ، فهى لا تزال على نمط المطابع قبل عشرين سنة ؛ وهناك جريدة يومية كانت تطبع بمطبعة تدار باليد الى زمن قريب ؛ وليس هناك من نوع اللينوتايب غير واحدة فى مطبعة الحكومة ! وبالطبع ليس هناك « روتغراف » أو شبهه ! ومن هنا نعرف سبب اقبال القارىء العراق على الجرائد المصرية المصورة ، إذ ليس فى العراق جريدة أو مجلة مصورة !

القارىء

يتذمر أصحاب الصحف من مشكلة « القراءة » وهى أن باعة الصحف يتفقون وبعض القراء على السماح لهم بتصفح جميع الصحف اليومية لقاء أجر زهيد يستعيضون به عن شرائها ، وأن الصحفيين بهذا « الداء » كما يسمونه يلقون أشد العنت والارهاق والعسر فى تحسين صحافتهم ! ولا أكذب القارىء أنى شهدت مرات عديدة قسما من المشتغلين بالصحافة اليومية يتبعون هذه الطريقة سراً وجهراً ، وذلك لأنهم يجدون من الصعب منح الصحيفة العراقية ثمنها لأنها فى الحقيقة لا تساويه ! وهذا إقرار مزر لا يجد الانسان معه إلا الوقوف مكتوف اليد !

وليس من الحق لوم القارئ العراقي وحده ، فان هـذا الشخص الذي لا يسخو على صحيفته بثمنها يبذر في شراء الصحف المصرية اليومية منها والأسبوعية والشهرية تبذيراً، فهو يشتري الصحيفة المصرية اليومية بضعف ثمن الصحيفة العراقية ! ولا يبخل على المجلة المصرية بثمن عددها الذي قد يبلغ في بعض الأحيان ثمن اشتراك نصف سنة في مجلة عراقية !

فالجلي من هذا أن القارىء العراقي لا يضمر العداء لصحيفته ، وأن الأديب العراقي لا يحجم عن تغذيتها ، بل السبب في كل ذلك هو شيء من سوء التفاهم القائم على اهمال مصلحتيهما . فالصحفي يريد التشجيع بدون مقابل ، والقارىء يريد التحسين بدون مقابل ، وكلاهما لا يحرك ساكناً في دفع هذا « المقابل »

خلاصة

إذن فالأدب على أسوأ أحواله في بلاد الرافدين ؛ وبغداد التي كانت في وقت مضى منبع الحكمة والأدب والشعر تنتظر بريد الأسبوع لتتلقف الصحف المصرية تلقفاً ، وتغذي حاجتها من الأدب المصري ، حتى لقد يعلم القارىء العراقي عن أحوال مصر الداخليـة والخارجية وعن شخصياتها الكبيرة ما لا يعلمه عن أمور العراق الداخليـة وما يتصـل بمعاشه وحياته ! وحتى بلغ الأمر بنا أن تعودنا الاطلاع على ما يخص العراق من مصادر خارجية ، كأن ليس في البلد صحافة وصحفيون ، وكأنه لا يعيش لأهله ، ولا يعيش أهله له !

فان كان الأستاذ « علي الطنطاوي » قد همه ألا تكون في « دمشق » حياة أدبية ، فلست أجدني إلا مضطراً إلى زيادة همه ! فاننا في بغداد ننظر إلى دمشق بعين التطلع ، وننتظر أن يصلنا منها ما يروي أرواحنا المعطشى إلى الأدب ! وإن كان حضرته ينعي عليها هذا الخلو والاقفار ، فماذا سيقول عن عاصمة الرشيد ؟

لو كان الوقت والمجال يسمحان بالتبسط في شرح بعض الأمور التي تتعلق بالحياة الأدبية في بغداد ، كما نسمي هذا الموت تجوزاً بالحياة ، لأطلعت القارىء على أحوال منه قد لا تسره ، ولكني لا أكون بذلك إلا كالكاشف عن جيفة ! فشكراً لضيق الوقت والمجال على حسن صنيعهما !

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

الرســـالات

للسيدة وداد سكاكيني

أتى على الانسان حين من الدهر كانت تعبث به الأحداث ، وتدور عليـه الأفلاك ، وهو في شرق الأرض تسوده الفوضى والجهالة ، ويقوده الظلم والطمع ؛ فكان كل امرىء ينتبذ مكاناً يحميه ويركن إليه هرباً من بطش فرعون وطغيانه الجارف

في ذلك العهد المظلم كانت امرأة مسـلوبة الأمان ، مشبوبة الفؤاد ، تسـير إلى جانب نهر زاخر ، حاملة وليدها ، حائرة في خطواتها ، فأوحيَ إليها أن تلقيه في اليم ، وهي مطوية الحنايا على أمل باهر ووعد أكيد . . . ثم يأتي عهد يكون فيه موسى كليم الله ورسوله

حمل هذا النبي رسالة ربه إلى بني إسرائيل ، فانجلت غواشي الذلة عن عيونهم الدامعة ، وتجلت لهم الحقيقة البارعة ؛ لقـد أنقذهم من جور الفراعنة ، وأهدى إليهم الأمن والحرية ، فتمت كلمة الله في أول دين هبط على الطور

ثم غبرت عصور وتعاقبت أحقاب ، فاذا الرومان يعيثون في الأرض فساداً ، ويملأونها حرباً واعتسافاً ، وإذا كل قيصر جبار يستعبد الأمصار ويخرب الديار ، فكانت الأفواه شاكية ، والعيون باكية ، تستغيث وتستجير ، والأسماع المرهفة لا تبدي ولا تعيد ، فأشفق الله على خلقه الضارعين وهو أرحم الراحمين ؛ لقـد أرسل إليهم عيسى بن مريم كلمته الخارقة ، وأيده بروح القدس ، فأقبل عليهم بدين الرحمة والمحبة والوئام ، وخلص القوم من مظلمة الرومان ومرارة الحرمان

ولبث العرب في جاهليـة جهلاء ، ووثنية نكراء ، وبؤس ملحف ، وعيش مرهق ، وقد كان قيصر الطاغي على عاتق من شبه جزيرتهم ، وكسرى الباغي على عاتق آخر ، وهم يُصلون في أرضهم الجدباء نار الصحراء وشح الماء ، فكان من رحمة الله أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ؛ لقد طلع عليهم محمد بن عبد الله بهدى كبير وخير كثير ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، ودانت له البداوة الأبية الشتيتة مجتمعة تحت راية القرآن ، حتى بعثت من بطاحها القفراء ورمالها الرمضاء ، إلى مدن العالم ورحاب الدنيا حضارة وحرية وعلماً ، فتهدم مجد فارس ، وتحطم عز

الرومان ، وأتم الله نعمته على العرب بدينه الحنيف ، وإذا بفجر الاسلام الساطع يكشف الآفاق ، ويشرق على الانسان بنور الاخاء والحرية والمساواة ، فكان سباق الأمم الحديثة التي تزعم أنها تسير على هدى ، وتدعى الحفاظ على الحق والسلام

ثم يمخر بنو الانسان خضم الزمن حتى يصلوا إلى شواطيء العصور الحديثة ؛ فاذا انتهت رسالات الدين التي نزلت على الشرق ، بدأت في الغرب رسالات الدنيا ، وبينا الناس (بأوربة) في ذهول وخمول ، تنقض ظهورهم المظالم ، وتكوى جلودهم المغارم ، وبعضهم يرسف في الأصفاد بالسجون ، كان جان جاك روسو ومنتسكيو وڤولتير ينشرون الكتب ليبصروا الشعب باستبداد الملوك ، واستعباد الأمراء ، وإذا هم ثلاثة رسل للثورة الفرنسية ، وإذا مداد دُوِيِّهم ، وصرير أقلامهم ، ينقلبان بعد قليل إلى دوى مدافع وسيول دماء ؛ ثم تسكن الفتنة ، وقد أعلنت حقوق الانسان

وتتفتح الأعين في أرجاء الأرض على ضوء الحرية ، فتقوم رسلها في كل أمة ، وتسرى عدوى المساواة إلى كل ملة ، ثم يجر ذلك إلى مغانم شتى ، ومطامع قصوى ؛ وبعد أن تصرم قرن والناس في بحران سيادة ملتوية ، اجتدمت الحرب الكبرى ، فهزت العالم هزاً عنيفاً . فلما وضعت الحرب أوزارها قام الناس من وقعها الأليم كأنهم ينسلون من القبور

وتقوى في الناس عقيدة الرسالة ويسمونها زعامة ، فينهض في الهند غاندى بجسم ضئيل ورُوح جبار ، فيهز سيدة البحار ، ويظهر في الترك مصطفى كمال فيخلقهم خلقاً جديداً ، ويطلع في الألمان هتلر فيعيدهم سيرتهم الأولى ، وتضيق ايطاليا بموسوليني فيغزو الحبشة بناشئة الطليان

أما في الشرق ، فيمين الله الشرق ! لقد حمل الرسالة فيه بمصر سعد زغلول ، فبعث المروءة من مرقدها ، وأيدها بروح منه ، ونادى في الشرق أن حطموا الأغلال فتنالوا الاستقلال

المصلحون في الدنيا كثير ، وهم رسل لأقوامهم ، وإذا رجعنا إلى التاريخ قرأنا فيه صفحات دامية عما يعانون في جهادهم لتحرير الرقاب العانية من رباق الجهل والوهم والاستخذاء والاستبداد

وبعد فالشاعر رسول يصور بشعوره الصادق آلام أمته ، ويجلو آمالها بروح العبقرية والالهام

والأديب رسول حين يوجه الناس في آثاره إلى سبيل الخير وطلب الحق ومعرفة الجمال

والمعلم رسول يثقف العقول ويهذب الأرواح ، فيبني الأمم وينشيء الرجال

والعلماء المصلحون والأطباء المكتشفون ، جميعهم رسل الانسانية المتألمة يسدون إليها الخير والاحسان

كل أولئك رسل أبرار يخطون لأممهم المجد والخلود ، ولا تكاد رسالاتهم تحصى ؛ فلئن جعل الله رسالات الدين خيراً وأبقى ، فان عنده رسالات الدنيا في درجة عليا

(دمشق) وداد سكاكيني

مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربية والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت في ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف في الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر في اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة في تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثاني) الآراء الحديثة في علم الجغرافيا تأليف ل . ددلي ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا في الجامعة المصرية يبحث في سكان الكرة الأرضية من بني الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتمدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم في مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

نظرية النسبية الخصوصية

البحث الثالث

مبادئ الميكانيكا الحديثة

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ٦ —

القيمة التفاضلية فى الهندسة الأوقليدية لخط تعينها المعادلة :

$$\text{غ ف}^{٢} = \text{غ ك}_{١} + \text{غ ى}_{١} + \text{غ ز}_{١} \qquad \text{معادلة (١)}$$

وهذه القيمة التفاضلية تتغير فى كون « الزمان — المكان » أعنى فى عالم مينقوفسكى إلى ما تعينه المعادلة :

$$\text{غ ف}_{٢} = \text{غ ك}_{١} - \text{غ ى}_{١} - \text{غ ض}_{١} + \text{ض غ ت}_{١}$$

معادلة (٢)

وهذه المعادلة تقابل كمية ثابتة « ث » التى هى نتيجة لمعادلة التقلص التى كشف عنها لورانتز [١]

— ٧ —

قلنا[٢] فى البحث الأول عن الزمان ونسبيته إن اينشتين غير موضوع الهندسة من الأشكال التى يرسمها انتشار النقط المادية الى الأشكال التى يخطها انتشار الأمواج النورية . وهذه الحقيقة قامت عليها هندسة مينقوفسكى معتبرة طول جسم ما ضرباً من مباحث علم الحركة

فى نظر هندسة مينقوفسكى أن المادة ليست إلا مجموعة متواليات الحوادث « Events » فى نقطة واحدة . ومجموع توالى الحوادث فى نقطة يشكل خطاً من خطوط عالم مينقوفسكى . وهذا الخط ينشأ داخل كون « الزمان ــ المكان » من محرك نقطة « حادثة Event » والقانون الذى يعين طول خط يصل بين حادثتين الأولى مثل « ا » والثانية مثل « ب » تعينها المعادلة التفاضلية

$$\int_{ا}^{ب} \text{غ ف} \qquad \text{معادلة (١)}$$

إذ فيها « غ ف » العنصر التفاضلى الثانى للرقم الأول : وهذه المعادلة تجرنا الى اعتبار المادة مجموعة الحادثات المنتظمة فى حركتها فى الفاصلة « غ ف »

لنتصور جزيئاً من المادة مستندا الى نظام كونى ، فهذا الجزىء المادى كل نقطة فيه تحتفظ بمكانها النسبى تجاه محورها ، ويكون انطباقها على محورها فى المكان مشفوعاً بانطباقها فى الزمان ، فكل نقطة فى هذا الجزىء المادى تقع فى نظام معين بالنسبة للكون المسند اليه بصورة ثابتة . وكل حركة فى هذا الجزىء تتبع نظام الكون المنسوبة اليه ، فحوادث الماضى والحاضر والمستقبل تحدث بدقة على خط النظام المسيطر الشامل للكون الذى تحدث بالنسبة اليه الحوادث . فجزىء المادة ، لما كانت الفاصلة « غ ف » تساوى المركز « م » كان :

$$\text{غ ف}^{٢} = \text{ض}^{٢}\text{غ ت}^{٢} - \text{غ ظ}^{٢} \qquad \text{« معادلة رقم (١) »}$$

فلو أبدلنا الرمز « ت » الدال على الزمان فى المعادلة السابقة إلى « T » كان :

$$\text{غ ف} = \text{ض غ T} \qquad \text{« معادلة رقم (٢) »}$$

ومن هذه المعادلة نستنتج أن :

$$\int_{ا}^{ب} \text{غ ف} = \text{ض} \int_{ا}^{ب} \text{غ T} \qquad \text{« معادلة رقم (٣) »}$$

حيث أن الرمز « غ T » رمز لفاصلة الزمان الخصوصية بجزىء المادة المسند للنظام الكونى فى صورة ثابتة

وإذا حولنا المعانى الرياضية التى فى المعادلات السابقة إلى عبارات عادية أفادت مساواة خط جزىء المادة بحاصل ضرب سرعة النور فى الزمان الخاص لهذا الجزىء المادى المسند للنظام المادى ، أو بتعبير آخر أن الملاقة بين فاصلة الحوادث لعالم ما وسرعة النور توجد معنا الزمان الخاص بجزىء المادة ؛ بمعنى أن قياس الزمن فى جزىء مادى مسند إلى نظام كونى يكون بساعة أو كرونومتر مستندا إلى هذا النظام نفسه بصورة ثابتة [١]

(١) البحث الأول « الزمان ونسبيته » وفقرة (١) من هذا البحث

(2) Edham (I. A) Mathematik und Phycik. , P. 118-120 Ehre- Ehrenfest. (E) . Where is Science Going ?. P. 38-,1935

(1) Levi Civita : Scientia « Revue Internationale ee Synthére Scientifique. in 8 o Bologne. vol. XIV. P. 215.

— ٨ —

لنفرض نقطة مادية مثل « ڡه » فمبدأ الاستمرار يقرر أن هذه النقطة المادية تتحرك حركة مستقيمة منتظمة إذا لم يؤثر فى حركتها مؤثر . ولنفرض حادثتين : الأولى مثل « ا » والثانية مثل « ب » فى خط حركة النقطة المادية « ڡه » ، ولنفرض أن الحادثة الأولى « ا » تسبق الحادثة الثانية « ب » ، ولما كان هنالك خطوط المجال الانتشارى بين الحادثتين فاننا نرمز لمجموعها بالرمز « خ ص » ولواحدها بالرمز « خ » . فلتميين خط من هذه الخطوط نبدأ من عند الحادثة « ا » التى حدثت فى النقطة « م » ، ولنفرض أن هذا الخط مسنود بصورة ثابتة لنظام مثل « ظ » ومتحرك بالنسبة لآخر مثل « ظ$_{١}$ » ، وإذا انتهينا بالخط عند الحادثة « ب » التى حدثت فى النقطة « م$_{١}$ » حيث يقوم بها متحرك مثل « ڡه$_{١}$ » يتحرك من « م$_{١}$ » إلى « م »

وإذا فرض[1] أنه كان خط حركة النقطتين المتحركتين « ڡه » و « ڡه$_{١}$ » منطبقين على بعضهما تمام الانطباق ، وكانت النقطة المادية المتحركة المرموزة لها بالرمز « ڡه » منطبقة على النقطة « م » ، والنقطة المتحركة « ڡه$_{١}$ » منطبقة على « م$_{١}$ » فخطوط الحركة بين هاتين ستكون مختلفة إذا ما تحركتا ، وحركة « ڡه » تكون منتظمة وسيرها مستقيما ، كما أن « ڡه$_{١}$ » تكتسب تعجيلا خلال حركتها من « م$_{١}$ » إلى « م »

فاذا فرض أن حدثت الحادثة « ا » فى الآونة « ت$_{١}$ » والحادثة « ب » فى الآونة « ت$_{٢}$ » فستكون حركة كل من النقطتين الماديتين «Matierial Points» «ڡه» ، «ڡه$_{١}$» محصورة بين الأوانين «ت$_{١}$» و «ت$_{٢}$» والنقطة المادية «ڡه$_{١}$» تتخذ الوضع الذى تنم عنه الرموز الرياضية

$$\text{ك} + \text{خ ك} \,؛\, \text{ى} + \text{خ ى} \,؛\, \text{ز} + \text{خ ز}$$

فى الآونات « ت$_{١}$ » و ت خ » و « ت » فيكون معنا المعادلة :

$$\text{خ} = \text{خ ت} \quad \text{......} \quad \text{معادلة (١)}$$

هـذه المعادلة تعين خطوط حركة الحادثتين عند الانتقال من خط سير النقطة المادية « ڡه$_{١}$ » إلى خط سير النقطة المادية « ڡه » كما وأنها تعين أصغر أقواس الخطوط التى تربط النقطتين ببعض . والفاصلة « خ ف^{٢} » تعينها المعادلة

$$\text{خف}^{٢} = -\text{خك}^{٢} - \text{خى}^{٢} - \text{خز}^{٢}\, \text{ة}^{٢}\, \text{خ ت}^{٢}$$

فاذا ما حولنا الرمز « خ ف » إلى الرمز « ة خ ت » لنشأ معنا المعادلة :

$$\text{خف}^{٢} = \text{ة}^{٢}\text{خت}^{٢} \left\{ ١ \left[\frac{\text{خ ك}}{\text{خ ت}}\right]^{٢} + \left[\frac{\text{خ ى}}{\text{خ ت}}\right]^{٢} + \left[\frac{\text{خ ن}}{\text{خ ت}}\right]^{٢} \right\} = \text{ة}^{٢}\, \text{خ}\, T^{٢} \quad \text{......} \quad \text{معادلة (١)}$$

فلو رمزنا بالرمز « س » إلى سرعة النقطة المادية المتحركة « ڡه$_{١}$ » فى آوان الزمان « ت » كانت المعادلة الدالة عليه :

$$\text{ة}^{٢}\text{خ}\, T^{٢} = \text{ة}^{٢}\text{خت}^{٢} \left(١ - \frac{\text{س}^{٢}}{\text{ن}^{٢}} \right) \quad \text{......} \quad \text{معادلة (٢)}$$

أو أن :

$$١ - \frac{\text{س}^{٢}}{\text{ن}^{٢}} = \frac{١}{\text{ث}^{٢}} \quad \text{......} \quad \text{معادلة (٣)}$$

فيكون معنا أن :

$$\text{ة}^{٢}\, \text{خ}\, T^{٢} = \frac{\text{ن}^{٢}\, \text{خ ت}^{٢}}{\text{ث}^{٢}} \quad \text{......} \quad \text{معادلة (٤)}$$

ومن هذه المعادلة نستنتج أن

$$\text{خ}\, T = \frac{\text{خ ت}}{\text{ث}} \quad \text{......} \quad \text{معادلة (٥)}$$

ولو حولنا[1] هـذه العبارات الرياضية إلى عبارات عادية لأفادت أن خط العالم الواقع بين الحادثتين « ا » و « ب » والمنطبقة على خط حركة النقطة المادية « ڡه$_{١}$ » يكون زمانها بالنسبة لنظام مثل « ظ » تتحرك إزاءها حركة انتقالية مستقيمة أقل من مقدار الزمان بين الحادثتين . وكلما ازدادت سرعة النقطة المادية « ڡه » بالنسبة إلى النظام « ظ » أخذ الزمان فى التقلص حتى يتساوى شطرا المعادلة رقم « ٥ » فيكون معنا المعادلة :

$$\Big|_{ا}^{ب} \text{خ}\, T = \Big|_{ا}^{ب} \frac{\text{خ ت}}{\text{ث}} \quad \text{معادلة (٦)}$$

ولو حولنا هذه المعادلة إلى كلام عادى لأفادت أن النقطة

(15) : Moore « G. E. » Principes new Mathematics., 1908 P. 138-140, Cincinati hress.

(5). (Edham. I. A.) : Die Grundlangen der Relativitaets-theorie.; vol.3, P. 175—178.

المادية « ق ١ » فى حركتها من « ا » إلى « ب » كلما أخذت فى الانحراف عن خط سير الحركة المنتظمة المستقيمة كانت سرعتها بالنسبة إلى « ق » أكبر . ولما كانت الفترة الواقعة بين الآونتين « ت ١ » و « ت ٢ » ثابتة لا تتغير فزمان النقطة « ق ١ » يتناقص بهذا المقدار ويكون الخط المنطبق على خط سير النقطة المادية المتحركة حركة مستقيمة منتظمة أطول خط بين هاتين النقطتين (١)

— ٩ —

من المعادلات التى سبق ذكرها نستنتج المبادىء الآتية :

أولاً : سرعة النور سرعة محدودة لا تتغير لا فى المكان ولا فى الزمان . وسرعتها مستقلة عن حركة مصدرها ، وتنتشر فى الفضاء وبين الأكوان بسرعة ثابتة

ثانيا : قوانين الميكانيكا الكلاسيكية « مبادىء نيوتن » لا تسرى على حركة وسرعة النور والأمواج الكهربائية والالكترو مغناطيسية ، ولا على حركة وسرعة الحادثات التى تقرب فى سرعتها من سرعة النور ، وإنما يسرى عليها قوانين اينشتين الميكانيكية

ثالثاً : ليس للزمان حقيقة منفصلة عن المكان بل كلاهما يتحدان فى فاصلة واحدة هى الفرق بين مربع الفاصلة المكانية وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية ، وهذه الفاصلة هى الفاصلة المطلقة الوحيدة فى عالم الحادثات

رابعاً : أطوال الأجسام تتبع حالات مشاهديها وتتغير تبع حركتهم وسكونهم فالأطوال نسبية للمشاهدين

خامساً : ليست المادة كما يعبر عنها العلم الطبيعى الكلاسيكى بأنها كل ما كان لها امتدادات ثلاثة فى المكان ، بل المادة مجموعة توالى الحادثات فى نقطة واحدة ، بمعنى أن العالم ليس إلا مجموعة من الحادثات ، وتوالى عدد من هذه الحادثات فى نقطة واحدة يلقى فى روعنا معنى المادة

سادساً : الزمان الخاص بحادثة ما هو مجرد العلاقة بين فاصلة الحادثة وسرعة النور

سابعاً : الخط المستقيم الواصل بين حادثتين هو أطول خط بين هاتين الحادثتين

(تم البحث الثالث) اسماعيل أحمد أدهم

تصحيح خطأ

جاء فى المقال السابق نشره فى العدد ١٣٨ خطآن مطبعيان نصححهما فيما يلى :

الأول وقع فى ص ٣٠١ سطر ٢٣ بالمعادلة رقم ٢

خطأ

$$\text{س}_2 = \frac{\text{س} + \text{س}^1}{1 + \frac{\text{س} + \text{س}_1}{\text{ح}^2}}$$

صواب

$$\text{س}_2 = \frac{\text{س} + \text{س}_1}{1 + \frac{\text{س} \times \text{س}_1}{\text{ح}^2}}$$

كما أنه فى السطر الثانى من الفقرة (٤) ص (٣٠٢) بالعمود الثانى وقع :

خطأ	صواب
اذاء	ازاء

(١) حسنى حامد : اينشتاين نظرية لرينك على قيمتى استانبول ١٩٢٨ صحيفة ٥٩

صالح ذكى : اينشتاين وبوانكاريه . دار الفنون ، فيزيق شعبه سى ، فيزيق رياضيات محاضره لرى ١٩٢٥

صور الصداقة والعداوة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

وَفِيٌّ غادر سمْحٌ حَقود ... أرى الأضداد فيك إلى لقاء
أمَدْحك لى انتقام من عدو ... أساء اليك أم محض الثناء
وفاؤك كى أبادلك التحايا ... أذَا سبب التقرب والتنائى؟
وكيما أصطلى وأشن حرباً ... على من مدحه لك كالهجاء
أتخدعنى ولم تلحق بسنى ... وَلم تظفر بخُبرىَ أو بلائى
وتمذق لى إخاءك مذق حقد ... على وما أصبتك بالعداء
تحاربنى وتحسب أن ستخفى ... عداؤك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نعامة للرأس تخفى ... وتحسب ما لها فى الناس رائى
ولست بأول المخفين بغضاً ... نما بين المحبة والإخاء
عرفت الناس قبلك يا خليلى ... وذقت الغدر من حلو الوفاء
فان كان الولاء كما أراه ... فويلى من وفائك والولاء
وبُعداً للمديح وإن تغالى ... وسحقاً للمروءة والصفاء
سل الخلان ما فعلوا بقلبى ... وهل أبقوا لشدقك من غذاء
وهل أبقوا لبطنك منه شِلْواً ... مريراً لا يساغ على عداء
أعيذك أن أراك شبيه قوم ... رجولة بعضهم فقد الحياء
وهم فقدوه من ذل وعار ... وهم فقدوه من فقد الأباء
وكم أخفوا رخاوتهم بهُجْرٍ ... كمن فقد الحياء من النساء
وهم مثل الهلوك رمت رجالاً ... بما قد صح فيها من هجاء
على الأبواب واقفة تنَزَّى ... وترمى القوم من دان ونائى
وتحسب أنها نفضت خناها ... كجلد الكلب هُزَّ لنفض ماء
فلا يعديك خلقهم فانى ... رأيت الخُلْق يعدى كالوباء
صفحت ولو أردت بلغت ثأرى ... وقد عُرِفَ اقتدارىَ فى الرماء
فان يأبوا وإن تأبى سكوتى ... فما صمتى بعىّ الأدعياء
ولا يُعْليك بين الناس خفضى ... ولم تبعد بأفقك عن سمائى
لتنزلنى إلى حيث استقرت ... بك الدنيا تفنن فى العداء
تخبِّرُنى اللحاظ بغل قوم ... على ما نلت من فرص الرخاء
وكنت أظنه حسداً لقولى ... فخلت الصمت أقرب للنجاء
ولو سمعوا بموتىَ ما استراحوا ... ولا يشفى حقودهمُ فنائى
أرادوا لى الممات ولو دهانى ... لفرط الحقد أحسد للفناء
فلا يرضيهمُ عيشى رخياً ... ولا يرضيهمُ منى عفائى
وفى الدنيا الدنيئة هان سمْحٌ ... تعالى عن سلاح الأدنياء
إذا ما أحرجوا سمحاً كريماً ... تَدَرَّع بالقوادع فى الرماء
دعونى صامتاً فالصمت أوقى ... لكم إن لم تصولوا بالغباء
أداجى الناس ما داجوا وإنى ... لأزهد فى الدِّهانِ وفى الرياء
ولكن الحياة لها قضاء ... فمن يأباه يزهد فى البقاء
وما أدرى لَدُنْ أُلْفِى عدُواً ... أأبله أم تبالَهَ بالعداء
أخَوَّفَهُ أذاى أخو دهاء ... أخَوَّفَهُ ذكائىَ واعتلائى
أتمَّقَ وعده بالخير إمّا ... تمادى من تمادى فى الجفاء
أسَعْىُ سعاية ام قول واشٍ ... يُحَكِّمُهُ المُحَكِّمُ فى الخفاء
أرَجَّاهُ مُرجِّى الخوف منى ... ضلالاً نيل عونِىَ أو ثنائى
أعَدْوى فى التثاؤب من كسول ... كعدوى فى العداوة والاخاء
أرشح اللؤم فى رهط وضيع ... يفيض بما يشاء من الأداء
ومن عرف الأنام رأى أموراً ... مُرَعْبَلَةً كرعبلة الكساء
أراها كلها صُوَراً تَنَزَّى ... تَنَزِّى الآل فى الخرق الخواء
سراب لست أتبعه فأخشى ... هلاكاً لا ولا هو من رجائى
أنا المرء الذى عرف البرايا ... فلا يردى لعاد أو لشائى
ومن خَبَرَ الأنامَ لِصُنْعِ فنٍ ... فكل الخلق من صُوَرِ الأداءِ
تراموا بالهجاء فان أصابوا ... فرهطهم الملطخ بالهجاء
أليس الرهط فرداً ثم فرداً ... وأوصافاً لها عدوى الوباء
نعتم رهطكم لما نعتم ... نفوسكم بأوضار الرماء
نفوسكم معرّة كل رهط ... ومدرجة الشعوب إلى الفناء
ومهزلة المكارم والمعالى ... وهل لؤم يؤول إلى علاء
لعلكم حسبتم كل شر ... إلى عود بخير وانتحاء

عبد الرحمن شكري

أحلام ورموز :

أنا قبر

بقلم السيد زكي المحاسني

يا حبيبي حبي يضيق كلاماً ليت أني أبينُه أنغاما
نغماً تفهم الجوارحُ منه ويريح العذاب والآلاما
أنت أغرودة على الدهر تعلو عن سماع يغدو ذووه رغاما
أنت لحن سمعتُـه فرماني ضائع الرُّشد حائراً مستهاما
ربما قد شككتُ في صدق عيني فحسبت الذي رأيت مناما
كيف فرّت حقيقةٌ من يد الحِـ ـسِّ فصارت في مزعمي أوهاما
أأنا ذاك أم أعيد وجودي بعد ما كنتُ في فنائي رماما

* * *

أغلِق الكوّةَ المنيرة واملأ ني ظلاماً حتى أصير ظلاما
علني أسترد صورةَ ما فا ت وعلّي أردُّها أحلاما
ها هو السبح يدّني من أمامي واجماً وجهه يلوح كهاما
جللت منكبيه بردةُ بؤس جعلتها الأسفارُ تبدو قتاما
مَدَّ لي كفّهُ الهزيلةَ والرجـ ـفةُ في ثغره وقال : سلاما
لم أكد أهتدي إليه فأرجعـ ـتُ الخوالي إليَّ عاماً فعاما
ثم لمّا عرفتُهُ غاب عني وكفاني ولو يزورُ لماما

* * *

رُدَّ ضوئي واحملْ إليه حياتي واسقِني في سُلوّ همي مُداما
داوني مثلما يداوَى عليل خاف أهلوه أن يموتَ سَقاما
أغدُ بي في الرياض واقصص حديثاً أتخذْ منه سَلوةً وجَماما
أنا أهوى الحياةَ من كلِّ آتٍ وأرَجّي من البقاء دَواما
إحتفِرْ هُوّةً وأنزِلْ إليها ذِكرياتي وأردُم عليها رِجاما
وكأني أمرُّ يوماً عليها فتناديّ : ألا رعيت ذِماما
فأبكّي لها وأسفح دمعي فتبُلُّ الدموعُ منها أُواما

* * *

أنا قبرٌ وفيَّ ميْتٌ توارى وبكائي عليَّ كان لزاما

ليلة في «الحمراء»

« عن شاتوبريان »

بقلم السيد ناجي الطنطاوي

ولي ذكريات أودعت مهد مولدي عذاب وعهد في رباه أنيق
فهل تذكرين اليوم يا أخت مامضى
فإني إلى تلك الديار مَشُوق

وهل تذكرين « الكوخ » حين تضمنا
إلى صدرها الأم الحنون فنجْذل
وشَعراً لها قد بيّض الشيب جُلَّه نداعبه طوراً وطوراً نقبّل ؟

وهل تذكرين القصر والنهر دونه يبلّله والبرج فيه قديم ؟
إذا قرع الناقوس أعلن صائحاً بأن نهار الأمس عاد يقوم

كذا العندليب الخفُّ هل تذكرينه ؟
يلامس سطح الماء حين يطير
وللقصب الزاهي انحناء وعند ما نرى الشمس في ماء الغدير تغور

فهل من معيد لي «هيلين» ودوحةً بها وجُبيلاً كيف لي أن أراهما ؟
تسبب لي ذكراها الوجد والجوى لأنيَ لا أهوى ربوعاً سواهما

في غمرة الهوى

بقلم السيد الياس قنصل

لا تحزني إن كنتِ عاشقةً ولا تستسلمي لتفجّع وبكاء
الحبّ لا يُشقي وإن حمل الردى بفوادح النكباتِ والأرزاء
هو نفحةٌ علويةٌ سحريةٌ تسبي الفؤاد بلطفِ الاستهواء
تحبو الخليَّ جناحَ وهمٍ خالدٍ يسمو به عن سائر الأحياء
لا تحزني ، فجمالكِ الفتان قد تذويه عاديةٌ من البلواء
والحزنُ ينفث في الحياة وكأسها ما ليس تنفثه سوى الرقطاء

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

وتأملى تجدى تباريح الهوى | قد ميزتكِ برقةٍ وسناء
ما كنتِ قبل اليوم إلا دميةً | تحوى ضروب الحسنِ دون رواء
يأتى الربيعُ فلا ترين جمالهُ | إلا بعطرِ زهوره الميلاء
وتدغدغ النسماتُ وجهكِ حيث لا | تلقى سوى لون بلا إغراء
وإذا تمايلت الغصونُ وصفّقت | أوراقها فى الروضة الغناء
لم تدركى معنى تمايلها ، ولم | تقفى على همساتها الخرساء
ما كان قلبك رغم كل حنوه | إلا شبيه الصخرةِ العمياء
واليوم بتِّ وقد عرفتِ لُغَى الهوى | نبتَ الخلودِ ومهبطَ الإيحاء
فاذا رنوتِ إلى السما عند المسا | ورأيت سلكَ الأنجم الزهراء
أدركتِ شيئاً لم يكن لك ظاهراً | وكشفتِ سرَّ القبة الزرقاء
أمسيتِ أقرب للذى أمر الورى | بالحبّ ، لا بالحقد والبغضاء
سرّى إذن ، وليمحُ عنكِ الحزنَ ما | يجتاز قلبك من هوى وهناء

(عاصمة الأرجنتين) — الياس قنصل

أندلسيات

٣ — ابن بسام صاحب الذخيرة
والشاعر ابو مروان الطُّبْنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

ألاَ يحسن بنا بعد أن أوردنا ترجمة ابن بسام للشاعر أبى مروان الطبنى أن نردفها بترجمة الفتح بن خاقان لهذا الشاعر حتى ترى فرق ما بين الترجمتين فتتم الموازنة بذلك بين هذين الأديبين من جهة ، وحتى نوفى ترجمة هذا الشاعر حقها بما فى ترجمة الفتح من زيادة على مما فى ترجمة ابن بسام من الجهة الأخرى . نعم ، قال الفتح فى المطمح فى حق الطبنى : من ثنية شرف وحسب ، ومن أهل حديث وأدب ، امام فى اللغة متقدم ، فارع لرتب الشعر متسنم ، له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق ، ثم عاد وقد توّج بالمعارف المفرق ، وأقام بقرطبة عَلَماً من أعلامها ، ومتسنما لترفعها وإعظامها ، تؤثره الدول ، وتصطفيه أملاكها الأول ، وما زال فيها مقيما ، ولا برح عن طريق أحانيها مستقيما ، إلى أن اغتيل فى إحدى الليالى بقضية يطول شرحها ، فأصبح مقتولا فى فراشه ، مذهولا كل أحد من انبساط الضرب اليه على انكماشه ؛ وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع ، وتصغى اليه المسامع ؛ فمن ذلك قوله :

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم | على مابه منهم حنين الأباعر
وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا | ألا إن قلبى سائر غير صابر

ولما رجع إلى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم ، اجتمع اليه فى المجلس خلق عظيم ، فلما رأى تلك الكثرة ، وماله عندهم من الأثرة قال :

إنى إذا حضرتنى ألف محبرة | يكتبن : حدثنى طوراً وأخبرنى
نادت بمفخرتى الأقلام معلنة | هذى المفاخر لا قعبان من لبن (١)

وكتب إلى ذى الوزارتين أبى الوليد ابن زيدون :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار | وقلّ منا ومنك اليوم زوّار
وبيننا كل ما تدريه من ذمم | وللصبى ورق خضر وأنوار
وكل عتب وإعتاب جرى فله | بدائع حلوة عندى وآثار
فاذكر أخاك بخير كلما لعبت | به الليالى فان الدهر دوار

عود الى الذخيرة

« وأما بعد » فقد آن لنا أن نعود إلى القول على كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، وهو الأثر الفذ الباقى للترجم له أبى الحسن على بن بسام ؛ ولولا أن لهذا الكتاب شأناً غير شأن سائر نظائره لما عرضنا للقول عليه والتعريف به ، إذن لناق عليه نظرة ليس منها بد ؛ ولا سيما بعد أن بشرنا صديقنا الأستاذ الكبير محمد كرد على بك بأن هناك لجنة من أفاضل المستشرقين تألفت برياسة العلامة المستشرق الفرنسى الأستاذ ليفى بروفنسال لاخراج هذا الكتاب الضخم الخالد الذى حُرِمت منه المكتبة العربية هذا الزمن الأطول ...

* * *

---

(١) يشير الى قول الشاعر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن | شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

والقعب قدح من خشب يروى الرجل والاثنين والثلاثة

وضع قديماً أبو عبد الله هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ كتاباً اسمه «البارع» في أخبار الشعراء المولدين جمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه، وقال في أوله: إني لما عملت كتابي في أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى اليه علمي؛ والعلماء يقولون: دل على عاقل اختياره. وقالوا: اختيار الرجل من وفور عقله. وقال بعضهم: شعر الرجل قطعة من كلامه، وظنه قطعة من عقله، واختياره قطعة من علمه. وطول الكلام في هذا وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن، وأنه كان طويلاً فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر. ثم جاء بعده أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ووضع كتابه «يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر»، وجعله ذيلاً لكتاب البارع؛ هذا ثم جاء أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ؛ وألف كتاباً اسمه «دمية القصر وعُصرة أهل العصر»، وجعله ذيلاً لكتاب يتيمة الدهر؛ ثم جاء أبو المعالي سعد بن علي الوراق الحظيري المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وصنف كتاباً أسماه «زينة الدهر»، وجعله ذيلاً على دُمية القصر؛ وأخيراً ظهر العماد الكاتب الأصبهاني المعروف بابن أخي العزيز والمتوفى سنة ٥٩٧ هـ، ووضع كتابه المسمى «خريدة القصر وجريدة أهل العصر»، وجعله ذيلاً على زينة الدهر للحظيري. هذا في الشرق، وأنت فانك تعلم أن الأندلسيين كثيرا ما يحذون حذو المشارقة في سائر مناحيهم؛ ومن ثم نحوا نحوهم في وضع هذا النوع من التواليف، فوضع الأديب الكاتب الشاعر أبو عمر احمد بن فرج - وكان معاصراً للخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر - كتاباً اسمه «الحدائق» قدمه للخليفة المستنصر وعارض به «كتاب الزهور» لأبي محمد بن داود الأصبهاني ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئاً - وسنترجم لهذا الأديب - ثم جاء من بعده صاحبنا أبو الحسن علي بن بسام فوضع كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» وجعله ذيلا على حدائق ابن فرج. وفي عصره صنف الفتح بن خاقان كتابي القلائد والمطمح، وجاء بعدها الأديب أبو عمر بن الامام وذيل على الذخيرة والقلائد بكتاب اسمه سمط «الجمان وسقيط المرجان» ذكر فيه من أخل ابن بسام والفتح بتوفية حقه من الفضلاء، واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة؛ وذيل على هذا الكتاب أبو بحر صفوان بن ادريس الكاتب الأندلسي الكبير بكتاب سماه «زاد المسافر» ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة. وهنا نذكر أن أكثر هذه الكتب مفقود كما أن هناك تواليف كثيرة من هذا القبيل لم نسمع بها فضلا عن أنها غير موجودة. فلقد أخبرنا الامام أبو محمد بن حزم في رسالته التي يشيد فيها بفضائل الأندلس أن للشاعر الوشاح أبي بكر عبادة بن ماء السماء كتاباً في أخبار شعراء الأندلس أثنى عليه وقال انه كتاب حسن في معناه. وحدثنا أيضاً بأغرب من هذا وهو أن من بين الكتب التي وضعت للخليفة الحكم المستنصر كتاباً في أخبار شعراء «ألبيرة» في نحو عشرة أجزاء... فتأمل... ومما يتصل بهذا وما هو أقعد في باب الغرابة ما حدثنا به ابن حزام أيضاً من أن هناك شاعراً أندلسياً كان في عصر جرير والفرزدق اسمه أبو الأجرب جَعْوَنة بن الصِّمَّة الكلابي يقول ابن حزم في حقه: ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب في الشعر لم نباه به إلا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما؛ ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين. وحكى ابن سعيد صاحب كتاب المغرب قال: ان عباس ابن ناصح الشاعر الأندلسي لما توجه من قرطبة إلى بغداد واتى أبا نواس قال له أنشدني لأبي الأجرب قال: فأنشدته، ثم قال: أنشدني لبكر الكناني، فأنشدته؛ فأين شعر هذين الشاعرين الأندلسيين العظيمين؟ إنا وا أسفاه لم نعثر لهما على شيء قط..... ثم وأين كتاب المُسهب للحجاري، وكتاب المغرب لابن سعيد، وكتابا المبين والمقتبس لمؤرخ الأندلس الأكبر أبي مروان حيان ابن خلف!؟... وأين وأين....!؟

ابن سكانك لا ابن لهم ... أحجازا أوطنوها أم شآما

* * *

فاسألنها واجعل بكاك جواباً ... تجد الدمع سائلا ومجيباً

عبد الرحمن البرقوقي

القصص

مأساة من اسخيلوس

ثأر أورست

The Choephoroe

الدرامة الثانية من (الأورستية)

للأستاذ دريني خشبه

تتمة

— ٦ —

ويسأل أورست عن هذه الزقاق من أرسلها ، وعن هذه الخمر فيم يصبانها على ثرى أبيه ، وقد تصرمت السنون على جدثه ، فتحدثه رئيسة المنشدات عن رؤيا الملكة :

— « حلم ! حلم ! أيها الأمير ! حلم مزعج مروع أقض مضجعها ؛ وأذهلها عن نفسها ! رؤيا انبجست عن ضميرها المضطرب الملوث بالآثام ! »

— « رؤيا ! وأى رؤيا هذه ؟ »

— « حملت واستكرشت ، ثم وضعتها أفعى هائلة »

— « أهذا كل شىء ؟ »

— « لقد هبت مروعة مشدوهة ، وطفقت تصيح وتصخب كأنها طفلة جائمة ... »

— « الحية الرقطاء ! وأى غذاء يرد شرهها ! زادها الله سغباً ! »

— « لقد كانت تمسك صدرها بيديها ، كأنها تخمد فيه ناراً ! »

— « وكيف لم ينفث السم فى ثديها ... »

— « كلا ! بل لقد قطر ثدياها دماء ... لا لبنا ! »

— « يالها من رؤيا ... لو تتم ! ... »

ثم انطلقت تصيح فى أبهاء القصر ، وهب العذارى يحملن المشاعل ويغسلن ظلام الليل ؛ وأمرت بهذا القربان الخمرى فصُبّ فى تلك الزّقاق ، وحملناه إلى ... »

ـ « قبر زوجها ! الغادرة الفاجرة ! ليشق سمارها ! يا آلهة الأولب ! ويح لك يا أرض الآباء ! رحمة لك يا قبر ! يا سيد الأولب ! ياربات المقادير ! أكتبى أن أكونه ، أكتبى أن أكون هذا الأفعوان الهائل الذى يقر فوق صدرها ... لن يردنى شىء ! سأغمد خنجرى فى الصدر الذى شبيت فوقه ! سأمزق الأثداء التى قطرت فى فمى علقم الحياة !

أكتبنى ياربات المقادير ! لتمت موتة دامية ! سأذبحها ! أنا الأفعوان لا ريب ! إشهدن أيتها العذارى ! سجلى يا سماوات ! هلم بيلاديز ! هلم يا صديق لنأخذ فيما قدمنا له ؛ وأنت يا إلكترا كونى رائدنا فى القصر ؛ تحسسى لنا أخباره ، وقصى آثاره ، فاذا أزفت الآزفة لم تفلتهم الغيلة التى دبرناها لهم ، كما دبروها لمولاهم من قبل ؛ ولم يفلتهم الشرك الذى نصبوه بأيديهم ، وآن لهم أن يقعوا فيه . . . . . ليذوقوا وبال أمرهم مادام أن النفس بالنفس ! هلمى إلكترا ! سأبدو أمام البوابة الكبرى مع صديق بيلاديز فى زى مهاجرين ، وسنتحدث بلهجة أهل هذه البرية التى نثقفها جيداً ، يا للآلهة ! إن أحداً من أهل القصر لن يمنحنا ابتسامة ، أو يتصدق علينا بنظرة !! ...

لا علينا ! بيد أننا سنترصد لأيجستوس ، فاذا حانت لنا منه غفلة فسننقض عليه وننفذ خناجرنا فيه ! إلكترا ! أرقبى القصر جيداً ، واحذرى أن تحركى لسانك بكلمة تفسد علينا كل شىء .... تكلمى إذا كان فى الكلام خير لنا ..... وإلا ..... فالصمت .... الصمت الذى يشبه الكبرياء يا أختاه ... وأنتن أيتها العذارى . . . هاتين موثقكن (يقسمن له أيمن معه) إذن ... إلى اللقاء ... »

— ٧ —

« المنظر : أمام قصر البلوبيديه (١) »

« يهزج المنشدات بلحن طويل حلو ، ويتغنين أشجان القصر العتيق ، ويرددن ذكريات الماضى المظلم المضرجة بالدم ، ويلمحن إلى الهول الأكبر الذى ينتظر المجرمين . . . »

« يدخل أورست ويطرق باب القصر »

— « أنتم يامن هنا ؟ ... (ويطرق ثانية) ... يا أهل هذا المنزل الرحب ... (ويستمر فى الطرق) ... يا سادة هــذه الدار ! ... الأمير إيجستوس ! أريد الأمير إيجستوس ! ماذا ؟ ألا من أحد هنا ... فى هذه الدار المضيافة ... (يطرق بعنف)

البواب : « هيه ! من ؟ من أنت ؟ (فى غضب) من أين أقبلت ؟ تكلم أيها الريفى !

— « لقد جئت لسادة هــذا القصر بأخبار هامة ... غريبة ... فالبدار البدار أيها البواب ! ... قل لهم إن بالباب رجلا من بدو البرية يريد لقاءهم ... هيا ... و ... إسمع أيها البواب ... اسمع ، أرجو أن ... لقد أوشك الليــل يرخى سدوله ، ولا بد لابن السبيل من ملجأ كريم يأوى إليه ... فحبذا لو لقيت أيًّا من ذوى الشأن هنا — وحبذا لو كان رجلاً ... إن لدىَّ أنباءً هامة ، وقد أرتبك إذا ألقيتها لامرأة ... أما إن كان رجلا ... فالرجل يصارح الرجل من دون ما حياء ... بل لا يكاد ذهنه يشرد فى حضرته كما قد يشرد فى حضرة امرأة ... ... »

« تدخل كليتمنسترا »

— « ماذا أيها السيد ؟ ! غريب لاجىء ! مرحبا مرحبا ... إن قصر البلوبيديه لن يضيق بالجائع المعتر ، ولا بالظامىء الصادى ... إنزل أهلا ، وحل سهلا ... ولكن ... ! يبدو عليك أنك رسول ولديك أنباء ! إذن ... ما وراءك ؟ هـذا إن لم تكن رسالتك للأمير ... »

— « أنا ؟ ... أجــل ... رسول ! لقد قدمت من بلدتى دُوليس ، إلى آرجوس ، فى بعض شأنى ... و ... بينا أنا فى بعض الطريق ، إذا رجل طوال وقور الهيئة يلقانى فجأة ويسألنى إلى أين ؟ ولم أكد أجيبه أننى ميمم شطر آرجوس حتى لهث لهثة شديدة وقال : إذن لى رجيّة عندك ما أحسبك إلا مؤديها لى ... ومنّانى بالخير الكثير ، ووصل حديثه فقال : إذا كنت فى آرجوس فاقصد من فورك قصر الامارة ... البلوبيديه الشاهق ... والق ال ... ملـ ... الأ ... مير ... ونبئه أن أورست قد قضى نحبه ... مات ... ثم سلهم ، هل يرون أن تنقل رفاته فتقر فى ثرى الوطن ... أم يؤثرون أن تظل حبيسة فى دار الغربة كما عاش صاحبها إلى آخر أنفاسه مشرداً فى أنحى الأرض ، طريدا من رحمة أبويه ... أما الرجل فقد ذكر لى أنه ستروفيوس وأنه من فوسيز ... وقد ألح فى أن أعود إليه برد على ما طلب ... و ... و ... فاتنى أن أذكر أن رفات الأمير الصغير ما تزال محفوظة فى إران نحاسى ... و ... أنه يبكيها ... و ... ولكن يا سيدتى بحق الآلهة عليك ! لقد ذكرت كل شىء ... هل أديت الرسالة الأُذُن التى طلب منى الرجل أن تميها ؟ إذ ينبغى أن يعلم أبَوَا الأمير قبل كل أحد »

— « ويلاه ! يا للداهية تنصب فى هذا الخبر الأسود ! إيه أيتها اللعنة التى ماتفتأ ترنق على هذا القصر ! إيه يا عُقاب الردى هويت من شاهق على حَمَامَتِنَا ! إيه يا سهم المنية اخترمته من بُعد ! بينا كنت أحسبه فى مأمن من مزالق الحتوف ، إذا هو يموت ، ويغادرنى فى تماستى وحدى ! أورست ! يا رحمتا لك يا بُنىّ ! لقد كنت أدخرك لتشفى أوجاع هذا البيت ... يا أملى الوحيد ! يا آخر رجاء لى فى الحياة ! لقد جاء النعى فلا شك ! ... »

— « واأسفاه ! كم كنت أود لو أتيت بالبشريات الغُر لأنال رفد هؤلاء السادة الأثرياء ! ولكن ! لا عَلىَّ ! فلقد ظل قلبى يحدثنى عما فى النبأ الذى حُمّلت من شر !

إ ... إ ... إنما ! ... مالى ولذاك ! أيتها الأميرة ! أمن رد على ستروفيوس .. ؟ »

— « ليطمئن قلبك على الرفد أيها الرسول ! ولا يحزنك أنك جئت إلينا بهذا النبأ ، فقد كان غيرك يجىء به لو لم تفعل ... والآن ... هلم أيها الخادم بالضيف الكريم إلى أنخر غرف الضيافة ، وليصحبه تابعه ، ولتكرم مثواه ، ، فما أظنهما إلا قد أضناهما السفر ، ونال منهما الطريق ... أما نحن ، فسنبلغ الملك وسنرى ماذا يكون فى مسألة الرفات »

« يخرج الجميع ما عدا المنشدات »

— ٨ —

« تدخل مرضع أورست »

رئيسة الخورس : « هيا يا وصيفات القصر ! صلاةً مباركة

(١) لم يتقيد اسخيلوس بوحدة المكان فى هذه المأساة ، وكان المنظر الأول أمام مقبرة أجا ممنون

للآلهة أن تحرس أورست وأن تلحظه بعين الرعاية ... وصلاة مباركة على روح الوالد القتيل ، الذى لابد هو راع ولده الذى جاء ليثأر له من الآثمين ! ... هيه ! من ؟ مرضعة أورست ؟ كيليسّا ؟ ماذا جاء بك يا كيليسا ؟ ! تبكين ؟ ماذا يبكيك يا طيبة القلب ؟ ! »

— « عِمْنَ مساء يا عذارى طروادة ! لاشىء ! فقط ، ... لقد طلبتْ إلىّ الملكة أن أدعوَ إليها أميرها إيجستوس ليناقى بأذنيه أنباء النعى ! ويلاه ! ويلاه عليك يا أورست ! يا طفلى العزيز ! شجن جديد يغطش سماءك أيها القصر ! أنت يا مأوى الأشجان وكهف الأسرار ! يا بيت أتريوس كم مصيبة خبأتها لك الأقدار ؟ ! آه يا طفلى ! يا من غذوتك من ثديىّ لبن المحبة والحنان ! أنا كيليسّا المفجوعة فيك ... أنا التى غذوتك ونشأتك وسهرت عليك بأمر أبيك الملك ! أنا التى كنت أفديك بالحياة ... لقد انتزعوك منى ... ونفوك فى أقصى الأرض حتى لا تروع أحلامهم وتقف فى سبيل لذاتهم ! اللئام ... ! أنا أذهب الآن لأدعو إيجستوس ! لأملأ سمعيه بخبر وفاتك ! يا ولدى ... يا ولدى ... ! »

— « مسكينة ! ياويح لك يا كيليسّا ! ولكن ! ... ، اهدئى ، فان لنا لـؤالاً نحب أن تجيبى عنه ... ! »

— « ... ؟ ... ؟ ... »

— « وبم أمرت الملكة ؟ هل أمرتك أن يأتى إيجستوس ومعه أحد ؟ »

— « لا أفهم ... أفصحن بحق الآلهة عليكن ! »

— « نعنى ، هل يأتى وحده ، أم يكون معه حرس ؟ »

— « لا ! بل أمرت أن تكون حوله فرقة من حملة الرماح ! »

— « صه ! ... لا . لا ... إياك يا كيليسا ! قولى له إن الملكة تريد أن تذهب إليها بمفردك ... و ... نرجوك ! ... نحن نترك البقية لحسن فهمك ! ... »

— « ماذا ؟ ... وهل لكن الحق فى إصدار أوامر ؟ »

— « لا ... ولكن إن كنت حقاً وفية لأورست ، فلا تقولى إلا ما أشرنا عليك به ! »

— « لست أفهم ! ... لقد أودى أورست ، وكان منتهى آمالنا ... فماذا نرجو بعد ؟ »

« وتبكى »

— « لترقأ عبرتك يا كيليسا ! وليفرخ روعك ! هونى عليك يا طيبة القلب ، فقد يكون حياً يرزق ! من يدرى ؟ لقد ألقى إلينا أن ... »

— « ماذا ؟ نبوءة ! نبوءة بالله عليكن ؟ ... أم سمعتن أنباء خاصة ؟ »

— « صه ... ! هيا هيا ... إذهبى إلى إيجستوس وليقصد إلى الملكة وحده ! »

« تخرج كيليسا »

« وتصلى المنشدات من أجل أورست ، ضارعات إلى الآلهة أن تكون معه ؛ وإلى هرمز أن يحرسه »

— ٩ —

« يدخل إيجستوس »

— « هيـــه ! ... هأنذا قد أتيت ! ياله من خبر ! أين الغريبان ! ماذا ؟ أحقا مات أورست ؟ ! ما كنا نؤثر أن يموت ! ياللجرح الذى ينغل فى أحشائك أيها القصر ؟ هاك فادحا آخر ينوء بكلكله عليك ! ولكن ! ... لا ... لا أصدقه ! لا أصدقه ... ! أنا فى شك من النبأ مريب ! المرأة ! لقد زخرفوا لها الخبر الأسود وقذفوا به فى روعها ! أكبر ظنى أنها إشاعة لا تلبث أن تذوب ! خبرن يا وصيفات ! أحق ذاك النبأ ؟ »

— « لقد سمعنا كما سمعت ! ولكن ! ... لتدخل أنت ، ولتلق الطارقيْن الغريبيْن ! فقد خُيِّل إلينا أنها مجرد إشاعة ! وقد تجلو الحقيقة حينما تواجهها »

— « ما أحسبنى أصدّقهما إلا أن يقولا رأيناه يجود بآخر أنفاسه ! إن لى لعقلاً ، وإنه لا تجوز عليه الأباطيل ! »

(ويخرج)

وما تكاد المنشدات يترنمن بأنشودة قصيرة يصلين فيها لزيوس حتى تُسمع صرخة من الداخل :

— « آه ... آه ... ذُبحت ! لقد ذُبحت ! »

المنشدات : — « ها ! ... إشتدى أزمة ! »

— « آه ... آه ... »

— لقد نفذ السهم وقُضِىَ الأمر ! ...

« يدخل أحد الخدم »

— « ويلاه ! قتل الأمير ! أخبروا الملكة ! ... ويلاه ! افتحوا البوابة لأميرة القصر ! « تحاول المنشدات فتح البوابة فلا تستطعن » أنتن ضعيفات ! ليفتحها الرجال الأشداء الغوث الغوث ! آه ... لا غوث اليوم ، لقد انتهى كل شىء

أين الأميرة ! أين الملكة ! أين كليتمنسترا ؟ ياويح لها حين يفجعها النبأ ! . . . »

— ١٠ —

« تدخل كليتمنسترا »

— « من ذا يصيح ويصخب هنا ؟ ماذا ؟ أنت الذى تصخب أيها الخادم ؟ »

— « أ . . . أنا . . . ؟

— « ماذا ؟ تكلم ! »

— « لقد انتفض الأموات تحت أطباق الثرى فذبحوا الأحياء ! هنا فى هذا القصر ! »

— « آه ! الخديعة ! جلوت السحر وكشفت الطلسم ! هلم فهات لى بلطا (١) ! وليكن حديداً مشحوذاً ! هلم هلم ! علىّ وزر هذا العمل أو لى خيره ! لأصارع الأقضية ، ولأنازل المقادير هذه النوبة أيضاً ! »

(وينزاح ستر فيدو أورست وأمامه جثة إيجستوس وإلى جانبه پيلاديز)

أورست : « آه . . . ! هلا ! هذى أنت ! لقد فرغت من إيجستوس ، وقد جاء دورك ! . . . »

« كليتمنسترا وقد هالها مقتل ايجستوس »

— « قتلت ! ويلاه ! سكتت نأمتك ، وشالت نعامتك ، يا أعز الناس علىّ ! »

— « أعز الناس عليك ! ها ها ها . . . إذن سترقدين إلى جانبه آخر الدهر ليتم له وفاؤك يا آثمة ! »

« ويهم أن يفتك بها فتعرف فيه ولدها »

— « أورست ! أهو أنت ؟ ولدى ! حاشاك ! إرحم هذا الصدر الذى طالما دللك ، والثدى الذى طالما أرضعك ! »

« ينثنى أورست ليستشير صديقه »

— « پيلاديز ! أشر علىّ يا أعز الأصدقاء ! هل تفل الرحمة من غرب هذا السيف من أجل أمى ؟ »

— إذن أين ما أوحى إليك من لدن أپوللو ؟ وأين النبوءة الصادقة وما ناشدتك السماء أن تؤديه لها ؟ روّ سيفك غير راحم يا أورست . كن صديق السماء واغسل بغضبتك أدران الأرض ! »

— « آه . . . شكراً لك يا پيلاديز ! حقاً إنك المخلص الأمين ! أنا أبداً فى حاجة إلى مشورتك ! سأقتلك إذن يا أدنس الأمهات ! سأقتلك لتخرّى إلى جانب عاشقك المجرم النجس ! لقد فضلته على ملكك فى الحياة ، فقرى معه بعد الموت ! حبيبك المتم الذى كان غيره أجدر بحبك لو عرف قلبك أثارة من الطهر ! يا فاسقة ! »

« ويهم أن يفتك بها ثانية »

— « أورست ! لقد أرضعتك ، وكنت آمل أن تكون سندى فى شيخوختى ! »

— « سنداً لها ! الفاسقة ! وكيف يظلنى سقف وقاتلة أبى ! مثلومة العرض ! »

— « قدر محتوم يا أورست ! »

— « والقدر المحتوم هو الذى يكتب عليك ما تلاقين اليوم »

— « ولعنة أمك ! ألا تخيفك يا أورست ! »

— « أى التى قذفت بى من حالق فريسة لأشجان الحياة ! »

— « أنا قذفت بك من حالق ؟ حاشا ! لقد أرسلتك إلى أعز الأصدقاء ليكلأك ويرعاك ! »

— « لقد كانت مقايضة خاسرة بالنسبة لى ! حرية وملك ، بعبودية وذل ! »

— « وأين الأعطيات التى بعتك بها يا بنى ؟ »

— « الأعطيات ؟ يا للعار حين تخوض فى ذاك من غير ما احتشام ؟ »

— « قد لا تذكر أيام أن انحرف أبوك وضل ! »

— « لا تنحى على الغائب بلائمة ! »

— « ألا تقدر لأواء أم محزونة مهجورة ، يا أورست ! »

— « بلى ! وأعرف أنها ظفرت بكل ما تشهت ! »

« ويهم أن يقتلها »

— « آه ! أتقتل أمك يا بنى ؟ »

— « أنا ؟ أنا لا أقتلك ! ولكن تقتلك آثامك ! »

— « ها ! . . . وأين تهرب من هامة أمك إذا قتلتها ! »

— « وأين أهرب من هامة أبى إذا خليتك يا آثمة ! »

— « كأنى أخاطب فيك قبراً فلا يسمع ! »

— « أجل ! وهو قبر أبى الذى يضرب وجهك بزفير جهنم ! »

— « آه ! الأفعى ! لقد ولدتها وربيتها . . . وهاهى ذى تنفث سمها فى حياتى ! »

— « إذن : هى رؤياك قد جعلها أپوللو حقاً ! »

— « . . . ! . . . تبدو كليتمنسترا كأنما يكاد يغمى عليها »

(١) البلط لغة الخرط (ق) وقد استعملناه لمناه العامى (البلطة) لأنها المقصودة فى المتن اليونانى كما تثبت صورة كليتمنسترا ذلك

— « القصاص يا أتعس الامهات ! لقد زرعت وزراً ، فلتجنى اليوم أوزاراً ! »

« تنطلق كليتمنسترا داخل القصر فيعدو أورست فى أثرها »

— ١١ —

ويذكر المنشدات ـ عذارى طروادة التاعسات ـ أوطانهن ، وما حاق باليوم وبريام من دماء وتقتيل . فيتغنين آلامهن ، ويرجعن ذكرياتهن ، ويهتفن بمروس الهلسبنت ، ويناجين العظام النخرة التى نامت إلى الأبد تحت أسوارها ...

ثم ....

ثم ينزاح ستر صفيق عن أورست ... بين الجثتين الجبارتين جثة أمه الفاسقة كما دعاها ... وجثة إيجستوس المتهتك ، الذى لم يطهر ثأره بالحفاظ والنقاء ... بل لطخه بفضائح الدعارة وحياة الهوى التى عاقر خمرها مع كليتمنسترا

— « إشهدن يا عذارى ! ها هما قاتلا أبى ، وهادما مجد الوطن ! لقد استويا بالأمس على عرش آرجوس فلطخاه بالاثم ، وها اليوم مجندلان فوق ثرى واحد ... وبيد واحدة ... وهو من البر بالأقسام ! أجل ! لقد برا بيمينهما ... أليس أحدهما قد أخذ الموثق على صاحبه أن يقتلا مولى هــذا القصر ... وأن يقتسما النتيجة ؟ إذن : لقد برت يمينهما ... ولقد حاق بهما المكر السيء ، وعلقا فى الشرك الهائل الذى حاكاه أولاً ... فمدت لهما فيه السنون والأيام ! ... ولكن ... ! وا أسفاه ! لقد جشمتني المقادير مهمة ملعونة ... ! وكيف ؟ أنا .... أورست المسكين قاتل أمه ! ياللشقاء ! ... أبوللو ... أبوللو ... كن شاهدى ياسيد الشمس ! ... لقد أمرتني ... وأوحيت إلى أن اقتل أمك واحمل بمدها غصن الزيتون ! ... فلو لم أفعل لكان شقائى أدمى وأنكى ! وكيف أطيق صبراً على قاتلى والدى ؟ ! وأنا ابنه الوحيد ... والسماء تطلب دمه من رجولتى !

وأنتن يا طرواديات ! تتكلمن بحق السماء ! أترين إلىّ مذنباً ينقض ظهره الاثم ... أم بريئاً امتشقت العدالة سيفها بيمينه ...! أيها الأصدقاء ! لقد قضت السماء أن أقتل أمى ... ! أمى التى ظلت حياتها سلسلة من المخازى ومستنقعاً من الفضائح ... حياتها التى كانت تحدياً للسماء ... لقد أقدمت وفوبوس(١) يحدونى ... لم يكن لى رائد سواه ... ولا كنف إلا كنفه ... هلم ياشعب الأرجيف المجيد ... كن شاهدى ومؤيدى ... وأنت ياعمى منالايوس ... ستأتى ... ستعود إلى الوطن يوماً وتقر ما أقدمت عليه بوحى السماء ! ... لن يلومني أحد ... فاذاً ... فلن أضيق بالمنفى من جديد ... سأذرع الأرض ثانية ... سأجوب الآفاق .. ولكن راضياً مطمئن النفس ... لأنى ثأرت لوالدى ... ولشرف آرجوس كلها »

— حاشا حاشا أيها الأمير ! لن يلومك أحد على ما فعلت فلا تحرك لسانك بهذا اللغو ... ولا تملأ نفسك بذلك التشؤم ... لقد أعدت للأرجيف حريتهم وشرفهم حين حطمت رأس الأفعى ، وثنيّت بذنبها ! »

— ١٢ —

ولكن الأمير الشاب ما يزداد إلا ذعراً حين يرى إلى أمه مضرجة بدمائها ... وسرعان ما تكظ وجدانه رؤى كالحة وأشباح ... ثم تستيقظ فى نفسه كلماتها الاخيرة : « وأين تهرب من هولى يا أورست ؟ إن هامتى ستلاحقك فى كل مكان صارخة فى وجهك : يا قاتل أمه ! ... » فيجن جنونه ... ويصيح ويصرخ ويصخب ...

— ويلاه ! آه .. ! ما هذه السمادير التى ترقص فى حبر من الظلام ! آه ! أين المهرب ؟ »

— « إطمئن ياأعز الأبناء ! إنها أوهام ياأورست ! هدّىء روعك ! »

ليست أوهاماً ياعذارى ! ويلاه .. ! إنها تنقض على ! هامة أمى ! ... ها هى ! ... آه ! »

— بل هى صورة هذا الدم الذى ما يزال يلوث يديك ... إطمئن ... »

— « لا ... أنا برىء ! أدركنى يا إلــهى أبوللو ! يا سيد الشمس هذه الجرجون(١) الملكة الثمابين تتحوى فوق رؤوسها ... عيونها تقدح الشرر ... اللهب ينذلع من أفواهها ... السم ! ... »

— « أدع أبوللو ... أدع فهو بك بر رحيم ؟ »

« آه ! ... انها تنشب أظفارها ... الهرب ... الهرب ! »

دريني خشبة

---

(١) فوبوس الاسم الأغريقى لأبوللو

(١) مر ذكرها فيا أذعناه (من أساطير الأغريق) فى أسطورة برسيوس

البريد الأدبي

جون نيتل ومشروع لتعليم الفلاح المصري

جون نيتل من أنبه الكتاب السويسريين ذكرا، وأجملهم أسلوباً، وأصدقهم فناً في نقل صور البلاد، والقيام بتحقيقات اجتماعية رائعة، وقد تجلت موهبته لا في دقة الملاحظة فحسب، بل في سحر أسلوبه وسلاسة عباراته، بحيث تنفذ إلى نفس القارئ وتحدث في عواطفه أعمق تأثير

ومما يدل أبلغ الدلالة على تفوق هذا الكاتب في فنه أنه برغم كونه سويسريا استطاع أن يثبت شخصيته أمام الانجليز، وتمكن في روايته «الدكتور ابراهيم» من أن يدفعهم إلى الاعتراف بأن ثمرة تعليمهم في مصر هوت إلى الحضيض، وأن استعمارهم أصبح كابوساً لا يطاق لشعب نشر ألوان الحضارة والمعرفة، على حين كانت أوربا تغط في ظلمات الجهالة ومخلفات القرون

ويبدو لنا أن حالة الفلاح المصري أحدثت تأثيرا عميقاً في نفس هذا الكاتب، وجعلته أشد عطفاً عليه، وأميل إلى أن ينقل لقرائه صوراً رائعة من أفكاره ومعتقداته وسوء حالته المعيشية، مع حث المصريين على تجهيز قوافل برية ونيلية تؤلف من متاحف صغيرة متحركة، وتزود بآلات للسينما وأجهزة علمية لتغزو الجهل المتفشي في القرى والدساكر وتقضي عليه قضاء مبرما

ولقد حدث من سنوات أن قام جون نيتل برحلة طويلة إلى مراكش حيث الاستعمار الفرنسي يرتع في بلد فطري، فما كاد يستقر هناك بضعة شهور حتى ثارت ثائرته على مظاهر الاستبداد الفظيعة، وكتب كتابه المشهور «مراكش وعبد الكريم» فغضب الفرنسيون لصراحته، وأحدث ظهور كتابه ضجة هائلة في الأوساط الاجتماعية والسياسية بفرنسا

ويظهر أنه وضع روايته الجديدة «الدكتور ابراهيم» عن مصر وهو على ثقة من أنه سيستهدف لغضب الانجليز ونقمتهم، وتبرم صحافتهم بصراحته، لكنه لم يحفل بهذا كله ومضى يسرد الوقائع بين سطور كتابه ويصورها بريشة الكاتب الواقعي الذي لا يخضع لسلطان سوى سلطان فنه، غير عابئ بالحملات الشديدة التي أعلنت عليه، ولا بمختلف الانتقادات النارية التي استقبلت بها الصحافة الانجليز كتابه

غير أن هذا الكتاب العظيم صادف هوى في نفوس الأمريكيين الذين يشيدون بمظاهر العدالة، فمجدوا شخصية جون نيتل وأفردوا لكتابه الفصول الطوال لافتين الأنظار إلى ما يجري في الريف المصري من تفشي الأمراض والجهل الفاضح والوقوع تحت أثقال ديون المرابين الأجانب

ففي هذه القرى لا يصرف قرش واحد لنظافة البيوت والطرقات ونقل القاذورات وتجفيف المستنقعات، حتى لقد تبلغ الدرجة فيها أن تبقى رمم الحيوانات ملقاة بين المساكن فتتجمع عليها أسراب الجوارح والذباب وتتصاعد منها روائح خبيثة

وفي أسواق القرى لا يوجد مرحاض واحد يفي بحاجة من يؤمه من التجار الذين يضطرون لقضاء حاجتهم في أركان الأسواق لتبقى هذه القاذورات هدفاً لأسراب الغربان والطيور والكلاب وجامعي الأحطاب، أو تلقي بقيتها في الترع والقنوات. فالعمل على تجنب الأضرار الناشئة من الماء الملوث الآسن يجب أن يكون قبل تدبير الماء الصالح للشرب في القرى، وهذا لا يتأتى إلا بارشاد الفلاح إلى طرق النظافة، وتوقي الأمراض المعدية، ولن يكون إرشاده إلا بتجهيز قوافل علمية تطوف بمساكنه من وقت لآخر وتعمل على أن تنتشل الفلاحين المساكين من وهاد القذارة والجهل، وتخرج بهم من الظلمات إلى النور

ولقد كانت المحاضرة التي ألقاها جون نيتل في مساء الأربعاء الماضي بقاعة بورت التذكارية تحت إشراف معهد جان جاك روسو

للتربية بجنيف ، تدور حول هذه المشكلة ، مشكلة إصلاح حال الفلاح المصرى ورفع مستواه الاجتماعى مع المحافظة على تقاليد أسلافه .

فذكر المحاضر بأن كل فكرة ترمى إلى تعليم الفلاح بقصد انتزاعه من أرضه ونزوحه إلى المدن هى محاولة فاشلة ، فلواجب تشويق الفلاح إلى أرضه وتنمية مداركه وتوسيع آفاق فكره ومعارفه العامة ؛ فاذا أردنا مثلاً أن نرشده إلى الأحوال الجوية ومعرفة سير الكواكب كان علينا أن نزوده ببعثة فلكية مكونة من محاضرين بارعين ، مزودين بسيارات بها آلات ومراصد فلكية ، فيحل أعضاء البعثة بقريته يوما أو بعض يوم ، ويجمعون الفلاحين فى مكان واحد ثم يلقون عليهم محاضرات بلغة بسيطة سهلة عن علم الفلك وحركة الكواكب والنجوم مع مساعدتهم على استيعاب هذه المعلومات بواسطة المجاهر الفلكية

وهب أننا نريد أن نلقى على فلاحى قرية كذا درساً فى النظافة والصحة العامة ، فنوفد اليهم قافلة صحية بتحفها الصحى المؤلف من نماذج مختلفة الأشكال ، وبأفلام سينمائية معها نشرات مكتوبة فى اللغة العامية يستطيع المربون الذين يرافقون القافلة أن يتلوا منها نصائح عملية على جماهير الفلاحين المحتشدين لاستقبالهم

فالتعليم الحديث بواسطة القوافل العلمية هو الوسيلة التى يرمى اليها مشروع جون نيتل لرفع مستوى الفلاحين ، إذ لا فائدة ترجى من إنشاء المدارس لتعليمه مبادئ الحساب والجبر وقواعد اللغة والرياضة إلى جانب تزويده بالمعارف العامة وتثقيفه الثقافة الشعبية الصحيحة التى تساعده على تربية الجيل الجديد تربية خالية من الجمود وشوائب الجهل

ونوه المحاضر بأنه لا يرمى إلى أن يظهر فى مشروعه بمظهر من على إرادته ، ولكنه مشروع مفيد وضع بعد دراسات طويلة للتضامن مع الذين يهمهم رفع مستوى الفلاحين ، وتحسين أحوال معيشتهم ، كما أن تحقيقه على الوجه الأكمل يقتضى عشرات المئات من الشبان المتعلمين أن يساهموا فى إسداء هذه الخدمة الانسانية الجليلة ؛ وإن فى استخدامهم لهذا الغرض حلاً لجانب كبير من مشكلة الشبان المتعلمين ومكافحة الأمية فى القرى والدساكر

وأهاب المحاضر فى ختام محاضرته بأن فى تغافل الحكومة وفى تركها الفلاح غارقا فى محيط جهله خطرا عظيما على مستقبل الأمة ، لأنه سيصبح فى مصر طبقتان بينهما هوة عميقة : الشباب المتعلم فى المدارس العالية وفى معاهد أوربا ، وجمهور الفلاحين الذين يظلون بعقلية القرون الوسطى ويعيشون تحت إرهاب أساليب عصور الظلام

كتاب الذخيرة لابن بسام

نعرف أن لابن بسام الأديب الأندلسى الكبير أثراً حافلا عن حياة الأندلس الأدبية والسياسية فى القرن الخامس الهجرى ، وهو « كتاب الذخيرة فى التعريف بمحاسن أهل الجزيرة » ، وإلى أعوام قلائل لم نكن قد ظفرنا بعد بنسخة كاملة من هذا الأثر الحافل ؛ وكل ما انتهت الينا منه نسخ مغربية وأندلسية ناقصة ، ولكن العلامة المستشرق الأستاذ ليفى بروفنسال مدير مدرسة الدراسات العليا فى مراكش قد ظفر بعد البحث الطويل فى إحدى مجموعات المغرب بنسخة كاملة من كتاب الذخيرة ؛ والأستاذ بروفنسال حجة فى شؤون « المغرب الاسلامى » أعني الأندلس والمغرب وله مؤلفات قيمة عن عرب اسبانيا والمغرب ، وقد نشر فوق ذلك طائفة نادرة من الكتب والوثائق عن تاريخ الأندلس والمغرب الأقصى : منها الجزء الثالث من كتاب البيان المغرب ، ووثائق عن ابن تومرت (المهدى) ، وجزء من تاريخ ابن حيان . ومن مؤلفاته كتاب بالفرنسية عن أحوال الأندلس أيام الدولة الأموية ، وقد تألفت أخيراً لجنة من أفاضل المستشرقين برياسة العلامة المذكور لتقوم على طبع كتاب الذخيرة وتحقيقه وتذييله ، وربما شغل الكتاب أربعة مجلدات كبيرة ؛ وهو ينقسم إلى أربعة أقسام : الأول خاص بقرطبة وأعيانها ؛ والثانى خاص بغرب الأندلس وأعيانه وأخبار بنى عباد ؛ والثالث خاص بأخبار بلنسية وأعيانها ؛ والرابع خاص بأخبار الجزيرة . ولدينا فى دار الكتب من كتاب الذخيرة نسخة ناقصة تحتوى على قسمين منه فقط هما الأول والثانى

وقد استفاد من كتاب الذخيرة كثير من العلماء المشتغلين بتاريخ الأندلس مثل دوزى وسيبولد ، وذلك قبل أن يوجد نصه كاملا ؛ والكتاب من أنفس آثار الأدب الأندلسى ، وقد كتب بأسلوب بديع ، وبه معلومات قيمة عن أحوال دول الطوائف خلال القرن الخامس الهجرى ، وليس من ريب فى أن نشره سيكون خدمة جليلة للتاريخ الأندلسى

تراث جاك بانفيل

أشرنا في عدد سابق الى وفاة الكاتب والمؤرخ الفرنسي الكبير جاك بانفيل . وقد قرأنا أخيراً في إحدى المجلات الفرنسية الكبرى فصلا عن الكاتب الراحل للعلامة المؤرخ أوكتاف أوبري الذي زار مصر منذ حين وألقى بها عدة محاضرات تاريخية شائقة ، يصف فيها تراث بانفيل التاريخي ويحلل مواهبه وكفاياته كمؤرخ وفيلسوف للتاريخ . وقد كان بانفيل قبل كل شيء كاتباً سياسياً ؛ وكان رجل جدل قوي يذود عن آرائه بيقين وحرارة ؛ وكانت تغلب عليه الروح الفلسفية في كتابة التاريخ . ويرى الأستاذ أوبري في كتابيه «تاريخ فرنسا» و «نابليون» أثرين جليلين يمتازان بقوة خاصة . وقد كان بانفيل ملوكياً يؤمن أشد الايمان بالملوكية ونظمها وتقاليدها ؛ وكان يدافع عن عقيدته في هذا الوسط الجمهوري المضطرم بحرارة المؤمن ؛ ومن ثم كان رأيه في الثورة الفرنسية واعتبارها حركة دموية طائشة . وهو في هذا يتفق مع كتاب عظام ناصروا الملوكية مثل لامرتين ؛ بيد أنه يفوقهم جميعاً في حرارة اخلاصه للملوكية وشدة وطأته على الثورة . ويعتبر الأستاذ أوبري كتابه عن نابليون أفضل مما كتب عنه تاين ومدشليه ؛ ويرى في كتابه «تاريخ الأجيال الثلاثة» صورة صادقة قوية من احداث فرنسا ومحنها ومواطن عظمتها وضعفها منذ واقعة واترلو حتى معاهدة فرساي

بيد أن بانفيل يبدو في ذروة قوته كفيلسوف مؤرخ في كتابه الأخير ، وهو كتاب «الحاكمون بأمرهم» ، وقد استعرض فيه تاريخ الطغاة والطغيان منذ العصور الغابرة ؛ ويبدي بانفيل في بحثه وتحليله لخواص الطغيان والطغاة مقدرة تطبعها رزانة خاصة ؛ ويرى أوبري أن أثر بانفيل عن الطغاة يجب أن يتبوأ مكانه بجوار كتاب «الأمير» للفيلسوف الايطالي مكيافيللي ، برغم أن بانفيل يهتدي في كتابه بمثل أخلاقية واجتماعية غير تلك التي يهتدي بها مكيافيللي في كتاب «الأمير (١)» . ولتقدير الأستاذ أوبري لتراث بانفيل التاريخي أهمية خاصة لأنه يتبوأ مكانة سامية بين مؤرخي فرنسا المعاصرين

(١) اقرأ تلخيص هذا الكتاب للأستاذ عبد الحليم الجندي في العدد الماضي وفي هذا العدد من الرسالة

أحرب أم سلام

نشر الكاتب الانكليزي الكبير الدوس هكسلي حفيد العلامة هكسلي مقالا عن مصاير السلام يقول فيه إن عام ١٩٣٦ سيكون عاماً حاسماً في تاريخ البشرية ؛ ذلك أنه إما أن يكون عام حرب أو عام سلام ؛ إما أن يستطيع الساسة فيه أن يحتفظوا بسلام أوربا ، وإما أن تفلت الحوادث من يدهم وينحدر العالم إلى الحرب

والدول التي تسيطر على مصاير العالم اليوم هي سبع : بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة والروسيا ـ وهذه في نظر الكاتب هي الدول «الراضية» ـ ثم ألمانيا وايطاليا واليابان ، وهذه هي الدول «غير الراضية» ، ذلك لأن الاحتكار الاستعماري والاقتصادي الذي تنعم به الدول الراضية قد اشتدت وطأته في الأعوام الأخيرة من جراء السياسة القومية التي تتبعها ، والنظم الجركية والاقتصادية التي تنظمها ، لتوطيد تجارتها وسحق تجارة الدول الأخرى . والدول غير الراضية لها كل الحق في أن تنقم على الدول الراضية هذا الاستئثار ؛ ذلك لأن مستوى الحياة في ايطاليا وألمانيا واليابان يهبط بالتدريج ، وسيستمر على هذا الهبوط ؛ والحياة في هذه البلاد تغدو كل يوم أشد وطأة ، حتى أصبحت ترى أن المغامرة بخوض الحرب أفضل من أي سلام مسكين تجنيه في ظل هذه الظروف التعسة . وقد قامت في هذه الدول الثلاث حكومات تعد شعوبها بأن ترد بالقوة القاهرة عنها هذا الحيف ؛ فأما اليابان فقد انقضت على بعض أقاليم الصين ؛ وتحاول ايطاليا أن تفتتح الحبشة ؛ وربما أقدمت ألمانيا في فرصة قريبة على محاولة نيل الترضية اللازمة ، وربما كان ذلك على حساب روسيا أو أوربا الوسطى

وقد شهدت السياسة الدولية تطوراً عظيما في المبادئ ، وذلك بتطبيق مبادئ وإجراءات اجتماعية «أخلاقية» ؛ ولكنا إذا أردنا السلام وجب أن نشتد في تطبيق هذه المبادئ الاجتماعية إلى حدود أخرى ؛ وإذا كانت ايطاليا تتبع سياسة غاشمة فذلك لما حاق بها من الظلم ؛ وليس ثمة وسيلة واحدة لدفع هذا الحيف عن الدول غير الراضية سوى معاملتها ومعاملة دول أوربا الوسطى بعدالة

ويرى الكاتب أن الحرب والسلام بيد الدول نفسها ، فإذا أصرت الدول الراضية على التمسك باحتكارها الاقتصادى الذى كسبته بوسائل غير عادلة ، وإذا حاولت أن تتسلح حتى الذروة لتحتفظ به ، فإن الحرب واقعة لا محالة

وأما إذا اعتزمت الدول الراضية أن تسير طبقاً لمبادئ الأخلاق ، وهى فى نفس الوقت مبادئ حسن التصرف ، فإن السلام يغدو محققاً مكفولا

الحياة المصرية المعاصرة

ظهر أخيراً فى انكلترا كتاب عن الحياة المصرية منذ أواخر القرن الماضى حتى يومنا ، عنوانه « حياة فى مصر A Lefatine in Egypt » بقلم سيدة انكليزية ، أنفقت طول حياتها فى هذه البلاد هى السيدة مابل جايارد . ويتناول هذا الكتاب وصف الحياة المصرية منذ أواخر عهد اسماعيل حتى سنة ١٩٣٥ ؛ أعنى خلال ستين عاما . وكان والد السيدة مابل موظفاً فى الحكومة المصرية منذ أوائل عهد الاحتلال ؛ وكانت مس مابل يومئذ فتاة ناشئة ، فقطعت حياتها الحافلة فى هذه البلاد ، بين الاسكندرية ومصر ، وشهدت تطورات الحياة المصرية فى هذه الحقبة ، واتصلت بكثير من الشخصيات البارزة فى هذا العهد ، ووقفت على كثير من الشؤون والمعلومات العامة والخاصة . وتقدم المس مابل فى كتابها عن مصر صوراً ساحرة لهذا العهد الذى كانت الحياة فيه ما تزال ناعمة هينة ؛ وتصف لنا مدينة القاهرة والمجتمع القاهرى فى أواخر القرن الماضى ، حين كانت لا تزال فى طور نشوئها العظيم ؛ وكانت لا تزال مدينة شرقية تحتفظ بكامل جمالها وسحرها الشرق الذى ما زال يملأ مخيلة الكتاب والسائحين ؛ وتصف لنا الاسكندرية فى أوائل عهد الاحتلال وتروى لنا كيف كانت الحياة فيها أحياناً صعبة غير أمينة ، وكيف كانت محط المغامرات والمفاجآت المكدرة

وتقدم لنا المس مابل صوراً ممتعة عن البلاط الخديوى فى هذه الحقبة ، وعن الخديويين وعن أكابر سيدات الحرم الخديوى الذى اتصلت به المؤلفة وعرفت كثيراً من رسومه ومظاهر الحياة فيه ؛ وتصف لنا الاسكندرية والقاهرة أيام الحرب الكبرى ، وكيف تحولت العاصمتان الكبيرتان إلى شبه محطة عسكرية هائلة ، ثم تصف لنا ما طرأ على الحياة المصرية بعد الحرب الكبرى إلى يومنا

وكتاب المس مابل طريف تجدر قراءته فى هذه البلاد ، وإن لم يكن يخلو من بعض نواحى التحيز والتحامل التى قلما تخلو منها كتب الأجانب ، وبخاصة الانكليز ، عن مصر

الفولكلور المراكشى

تعتبر اليوم دراسة المعتقدات والعادات والتقاليد الشعبية من الدراسات الأثرية المفيدة فى تاريخ الشعوب وتاريخ الحضارة ؛ وقد اتسعت هذه الدراسة وتقدمت فى عصرنا حتى أضحت تكون فرعاً خاصاً يطلق عليه « الفولكلور » أو دراسة المعتقدات الشعبية . ومن المؤلفات التى ظهرت أخيراً فى هذا الموضوع كتاب للدكتوره فرانسواز ليجى عن « الفولكلور المراكشى » وقد عاشت الدكتوره ليجى فى مراكش أعواماً طويلة ، ودرست المجتمع المراكشى دراسة مستفيضة ، ووقفت على معتقداته وتقاليده القديمة التى لم تنجح المدنية الفرنسية المفروضة فى إزالة معالمها ؛ وتناولت المؤلفة معتقدات الشعب المراكشى الدينية ، وعاداته الاجتماعية ، وما تداولته الأجيال منذ العصور الغابرة فى شأن الخليقة وآدم والبر والبحر والحيوان والنبات والطير ، من الأساطير والأمثال السائرة ؛ وتسوق لنا المؤلفة أمثلة طريفة من هذه المعتقدات فى شأن بعض الأشجار والأزهار فتقول : « إنهم يعتقدون أن بعض النباتات ليست من خلق الله ولكنها من خلق الشيطان ، وهذا شأن التبغ مثلاً ؛ وأما شجرة الكرم وشجرة التين فقد حملهما آدم من الجنة ؛ وقد نبتت الورود وزهر البرتقال من دموع النبى ، ونبتت شجرة الرمان من الأزهار التى نثرتها فاطمة الزهراء ابنة النبى حينما علمت بموت ولديها الحسن والحسين » ، ويعتقدون أيضاً أن بعض الحيوانات كانت بشراً ومسخت ، عقاباً لها على سيئاتها

والكتاب طريف فى موضوعه وفى مباحثه وخصوصاً فيما يتعلق بتقاليد القبائل البربرية وعاداتها ؛ وفى مباحثه ما يلقى كثيراً من الضوء على المجتمع المغربى فى تطوراته المختلفة ، فى ظل الوثنية والاسلام ، وما لا يزال حياً فى معتقداته وتقاليده من تراث العصور الغابرة